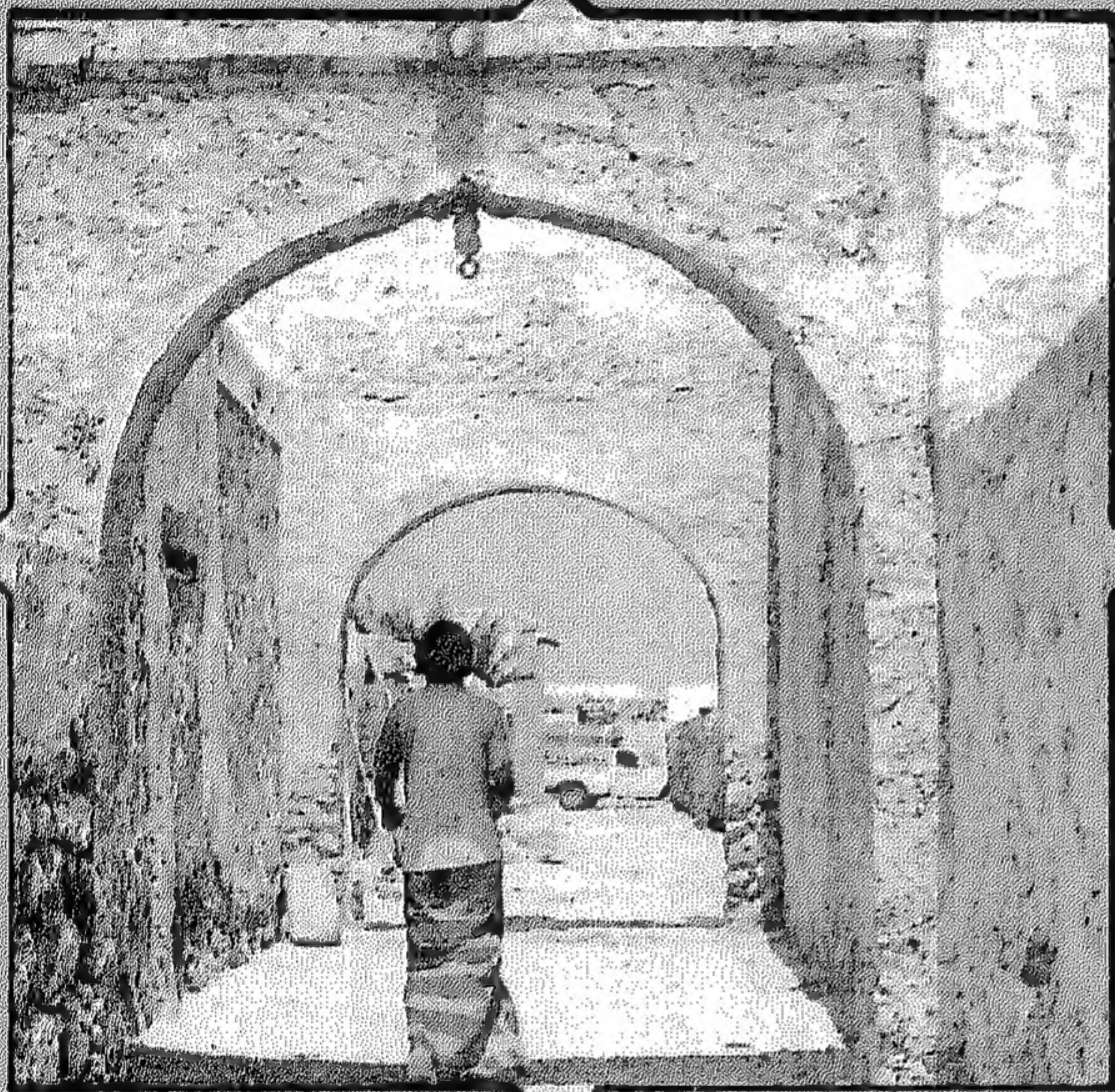




هذملا



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
الشئون الثقافية
القسم الأدبي

فرسان



المملكة العربية
السعودية

هذه بلادنا

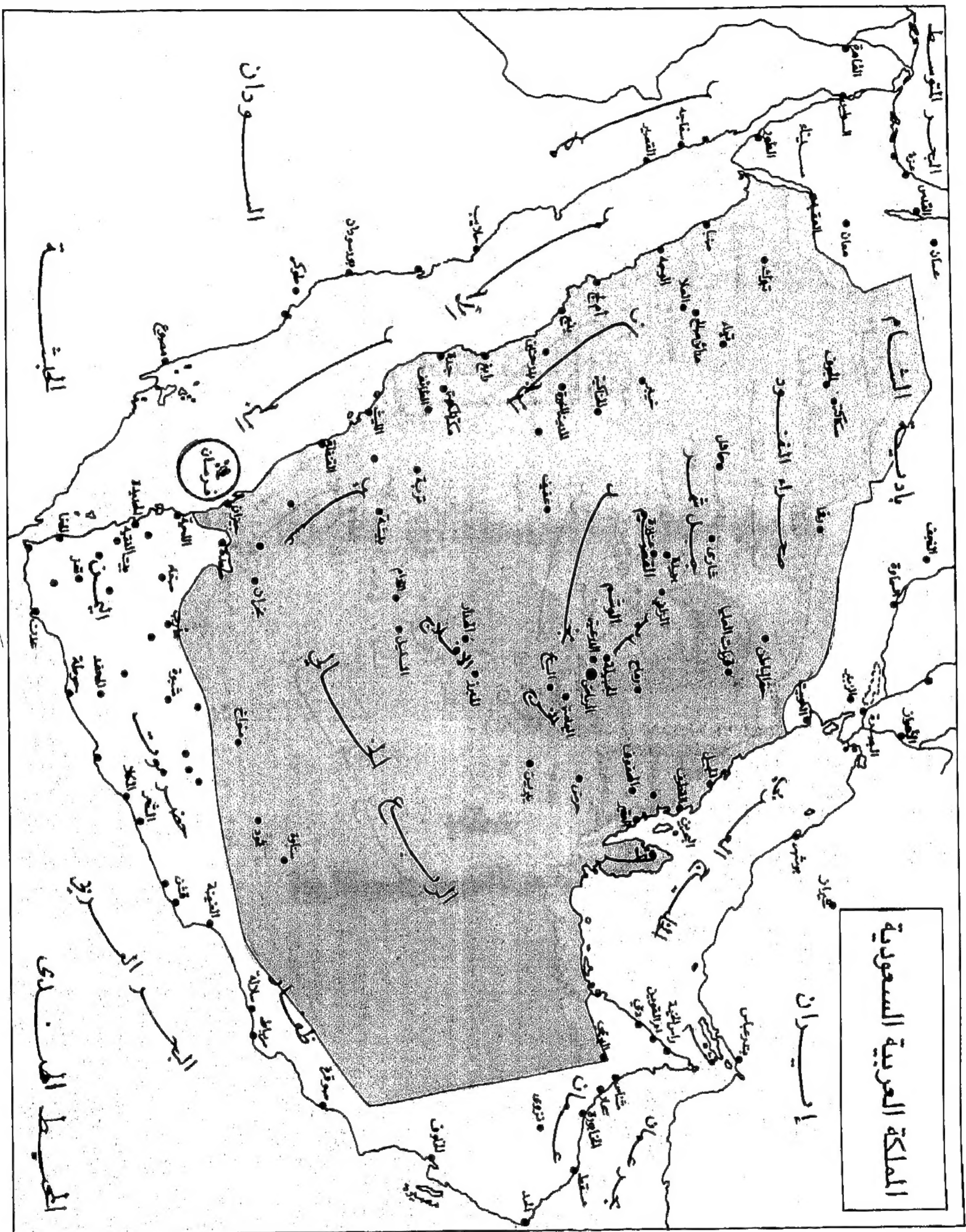
فرسان

جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة

بقلم

ابراهيم عبدالله مفتاح

١٤٠٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسعدني أن أقدم باكورة الإنتاج في سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة وتعمل على تسجيل التراث الفكري والفني والعادات والتقاليد في المملكة . . . هذا بالإضافة إلى كونها تجميعاً لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه إدارة الشؤون الثقافية .

ولعلنا بهذا العمل نساهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العمر الحديث لتكون نبراساً هادياً لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق وجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم . .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعد على تلمس الطريق وتوفير له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد . . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم ، وكثيراً ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع . .

ولأنه من الأفضل لأي أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء.

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والإزدهار. ولإدارة الشؤون الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح. ،،،،

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

هذه بلادنا

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط ، ولكنها جاءت امتدادا طبيعيا لنشاط إدارة الشؤون الثقافية في مجال المحاضرات . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات ، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين ، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . فإن كان صغيرا يهتم أن يعرف أجداد بلاده وتاريخ أسلافه ، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه ، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله .

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته .

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، ،

إدارة الشؤون الثقافية

ف . ض .

1 / 14



تقديم

هذا الكتاب وما في حكمه مما ألف أو سيؤلف عن مدن أو قرى منفصلة أو متصلة بقرى أخرى مجاورة لها . . ولها نكهتها الخاصة بها في وضعها الاجتماعي أو طبيعتها الجغرافية أو التاريخية أو القبلية أو ما إلى ذلك مما هو محدود المساحة أو المسافة أرضاً وزماناً كهذا الكتاب الذي بين أيدينا عن («فرسان» جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة) - أقول إن هذا الكتاب وأمثاله لا يقل فائدة ومتعة عن المعاجم الجغرافية لمناطق المملكة . . بل لعل حصر جهد الباحث في رقعة ضيقة من المكان تجعله أكثر استقصاء ودقة فيما يورد من معلومات . . إضافة إلى ما تمتاز به هذه الدراسات من معلومات طريفة عن العادات والتقاليد وشئون الحياة العامة التي قل أن ترد في المعاجم الجغرافية . وقد ترد في الكتب التاريخية بقدر أكبر إذا قدر لهذه المدينة أو تلك أن تجد من يكتب تاريخها بصدق ووعي وحياد .

ومن هنا أجد أن هذه الكتب التي شجعته وتبنتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ستكون ذا نفع وفائدة مضاعفة للباحثين الجغرافيين والجيولوجيين والمؤرخين ورجال الفكر والأدب . . ذلك أن هذه الكتب تستطيع إمدادهم بمعلومات أوفر وأكثر دقة وبخاصة عن العادات والتقاليد السائدة وعن دقائق الحياة الشعبية العامة في هذا الجزء الصغير من وطننا الكبير . . وهذا لا يعني التقليل من قيمة المعاجم الجغرافية التي خرجت في بلادنا وما هو في طريقه للخروج وإنما أعني أن هذه الكتب الصغيرة في ذاتها ومحدودية المكان أو الموضع الذي تتحدث عنه - ستكون عوناً جيداً للباحثين والمؤرخين والأدباء وغيرهم في تكوين الصورة الواقعية للبلاد تفصيلاً - نسبياً - وتعريفها لكل مواطن في كل مكان من بلاده . . والتعارف سبيل إلى التآلف - فيما اعتقد - ولئن أفضلت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بإحالة بعض

هذه الدراسات إلى لتقييمها وتقويمها إن هي احتاجت إلى تقويم ولابداء رأيي في مدى صلاحيتها للنشر من عدم ذلك - فإنها من حيث قصدت أو لم تقصد قد أتاحت لي فرصة التعرف بشكل أكثر دقة وتفصيلاً عن المدن والقرى والأماكن التي كتبت عنها هذه الدراسات . . وبذلك أكون قد استفدت من هذه المعلومات وعشت معها جلسات ممتعة من القراءة المفيدة ولا بد أن القراء وبخاصة من يهتمون بمثل هذه الدراسات سوف يستفيدون كذلك من قراءة هذا الكتاب وأمثاله . ولا سيما أن المؤلف الأستاذ إبراهيم عبدالله مفتاح قد صاغه بأسلوب أدبي رائق، أسلوب الأديب الشاعر وضمنه معلومات في غاية الأهمية والطرافة معا عن جزر (فرسان) التي لا يعرف كثير من المواطنين عنها إلا أنها كانت «منفى» للرجال الذين كانوا يمثلون خطراً على الأمن العام في عهود سابقة . وإن لم تكن في شهرة جزر «سانت هيلانه» التي جعلتها بريطانيا «منفى» لبعض الزعماء من مستعمراتها .

ولقد بذل الأستاذ إبراهيم مفتاح جهداً كبيراً يشكر عليه في إعطاء الدراسة كثيراً من جوانبها الشمولية تاريخياً، وجغرافياً، وأدبياً، واجتماعياً، مما أضفى عليها كثيراً من المتعة والفائدة للقارئ والباحث، وأورد نماذج شعرية من شعر شعراء (فرسان) الفصيحة والعامية . وقد لفت نظري غرابة بعض الكلمات الشعبية التي تضمنها الشعر الشعبي . . وجاءت فيه عبارات وكلمات غير مفهومة بالنسبة لي ولعلها كذلك لغيري . . بل إن المؤلف عجز عن إرجاع معاني تلك الكلمات إلى أصل فصيح يفسرها ومن ذلك ما جاء في عنوان «التذرية» والقصيدة الشعبية التي تتغنى بها النساء الفرسانيات عند الظهيرة اشتياقاً ولوعة وحنيناً إلى الابن أو الأب أو الأخ أو الزوج الغائب في البحر لطلب الرزق ومنها هذا المقطع:

| | | |
|---------------|--------|-----------------|
| «والي بيادوه» | والي | بسيدي |
| حان الوقت حان | تحميل | وشدان |
| والبادة زان | «والي | بيادوه» |
| «درهت» ظهري | من ضيق | صدرى |
| من غيبة أهلي | «والى | بيادوه» . . الخ |

فهذان تعبيران شائعان في جزر فرسان لم يستطع المؤلف أن يعرف معناهما لغوياً . . وهما

«التدريه» من قولهن «دَرَّهْتُ ظهري» وشرط البيت الذي يقول: «والى بيادوه»!

لا اعتقد أن جزر فرسان تعدم من يعرف معاني مثل هذه الكلمات ولا سيما كبار السن من المعنيين بالشعر الشعبي؟ وهذا كمثال على غرابة بعض الكلمات واستعصائها على الفهم في هذا الجزء العزيز من وطننا الكبير.

فلوبذل المؤلف جهداً أكبر في إرجاع الكلمات العامية الغربية إلى أصولها العربية الفصيحة لأمكن له ذلك ولساهم في تقريب اللهجة المحلية للفرسانيين من اللهجات المحلية الأخرى في سبيل ما هو أكبر، ولوبعد زمن طويل، في صهر هذه اللهجات - ولو إلى حد ما - في لهجة شعبية متقاربة أو رفع أكثرية الناطقين بتلك اللهجات إلى مستوى اللهجات الفصيحة.

ونسأل الله مزيد التوفيق والسداد للجميع

عبدالله بن عبدالعزيز بن ادريس
الرياض

مقدمة

* حين تذكر الجزر تتداعى إلى ذهن الإنسان عديد من الصور المتباينة والأخيلة المدهشة والرؤى العميقة والأحلام العجيبة .

* هذا التداعي هو محصلة تاريخية لعلاقة الإنسان بالبحر كمصدر من مصادر رزقه . .
ووسيلة من وسائل الاتصال القديمة قبل أن تعرف الطائرة والقطار والسيارة .

* لقد ارتبط تاريخ الجزر بمجموعة من الأساطير المثيرة لخيالات الإنسان وتطلعاته للبحث عن المجهول المحفوف بالمخاطر والأهوال والخرافة فتصور الجزر المسحورة . . والجزر المسكونة بالعمارة والجن والمخلوقات الغريبة .

وفي بلاد اليونان . . حيث تكثر الجزر الجميلة الهادئة ، كانت هذه الجزر مطمحاً للفلاسفة والمفكرين هرباً من المضايقات التي يلقيها من شعوبهم وحكامهم .

* ليس هذا فحسب . . بل ارتبط تاريخ الجزر حديثاً بحركة الكشف الجغرافية . . .
ورحلات المغامرين الباحثين عن الأحجار الكريمة . . ومناجم الذهب ، والمعادن الأخرى . . وبرزت أهميتها من خلال رحلات المكتشفين أمثال « كريستوفر كولومبوس » و « فاسكودي جاما » و « ابن ماجد » البحار العربي .

* وليست قصة «روبنسون كروزو» إلا صورة من تخیلات الإنسان وطموحاته لحياة جديدة، وأرض غير معروفة، ورغبته في ارتیاد المجهول لتحقيق نزعاته .

* وكان البحرياً يحتويه من مغام وكنوز ليس أقلها «اللؤلؤ» الذي كان يمثل تجارة مرموقة تقود إلى الثراء الواسع سبباً في ظهور «القرصنة» حيث برز عدد كبير منهم ملأوا حياة البحر هلعاً ورعباً في غياب النظام والأمن اللذين دعت إليهما فيما بعد القوانين والمعاهدات الدولية المصحوبة بوسائل الردع ومكافحة ظاهرة القرصنة لتوفير الأمن لرواد البحر من ناحية وتنظيم عملية استثمار مصادر البحر ومغانمه من ناحية أخرى .

* وأنا في هذا الكتاب عن «جزائر فرسان» لا أرصد تاريخ البحر والجزر وما تخلل هذا التاريخ من أساطير . . وأحلام . . ورؤى . . وأحداث ، وإنما استعيد صوراً كانت في يوم من الأيام تحتل واجهة أحداث الإنسان اليومية قبل أن يعرف الحروب الساخنة ، والباردة وظاهرة الاستعمار . . والقهر والاستبداد . . والاستيطان القسري والقتل الجماعي . . والغازات السامة وتلوث البيئة في ظل القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية . . هذه الأمور التي قضت على ظاهرة القرصنة غير المنظمة لتحل محلها القرصنة المنظمة التي تميزها عصرنا وعانت منها أمم كثيرة في مختلف بقاع الأرض على مسمع ومرأى من المجتمع الدولي الذي تضییع استنكاراته واحتجاجاته وسط دوي المدافع وتفجيرات القنابل وسيطرة القوي على الضعیف المغلوب على أمره .

* هذه مجرد تداعيات تواردت على خاطري وأنا اعتزم الكتابة عن جزء من أجزاء وطننا الغالي . هذا الجزء هو «جزائر فرسان» أكبر أرخبيل في البحر الأحمر في الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية .

فرسان ذات الشواطئ الغنية
بمصائد اللؤلؤ والغنية
بمزارع المحار الطبيعية

الموقع الجغرافي

تشكل جزيرة فرسان والمجموعة التابعة لها أرخبيلًا من الجزر المتناثرة المتقاربة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر على بعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة جيزان في مملكتنا العربية السعودية ، وعلى بعد يزيد قليلاً عن مائة كيلومتراً عن الساحل الغربي للبحر الأحمر والمطل على البر الأفريقي حيث تقابلها على ذلك الجانب جزائر «دهلك» ذوات الشواطئ الغنية بمصايد «اللؤلؤ» والتي كانت في يوم من الأيام مصدراً من مصادر الرزق لسكان جزائر فرسان وجيزان وكذلك سكان المدن الساحلية اليمنية . حيث يزاولون مهنة الغوص بحثاً عن اللآلئ في المصايد الواقعة بالقرب من شواطئ تلك الجزر كما قدمنا ، كما يزاولونه على شواطئ فرسان نفسها والتي ما تزال غنية بمزارع المحار الطبيعية حتى يومنا هذا .

وعلى الرغم من عدم وجود مسافة كبيرة تفصل بين جزائر فرسان ومدينة جيزان أو بتعبير أصح «منطقة جيزان» فإن التكوينات الطبيعية بينهما تختلف اختلافاً تاماً.

فبينما نجد أن الصخور البركانية والسهول الساحلية الخصبة تغلب على طبيعة أرض المنطقة نجد أن جزر فرسان تغلب على أرضها الشعاب المرجانية والقواقع والكائنات البحرية المتحجرة، وذلك ما يدل بوضوح على أن هذه الجزر كانت حتى عهد قريب مغمورة تحت مياه البحر، وأن عمرها الجيولوجي عمر حديث.

وحسب ما يقول الدكتور عبدالله الدباغ - أحد أساتذة الجيولوجيا في جامعة البترول والمعادن بالظهران - : إن العمر الجيولوجي لجزائر فرسان عمر حديث يتراوح بين ثلاث ملايين وثلاث ملايين وخمسمائة ألف سنة تقريباً.

وحسب ما يذكر الدكتور الدباغ - الذي زار فرسان قبل سنوات مع مجموعة من الأساتذة الأجانب المتخصصين في علم الجيولوجيا - إن ثلاث ملايين أو ثلاث ملايين ونصف المليون من السنين يعتبر عمراً جيولوجياً حديثاً إذا قيس بالزمن التاريخي الذي يتعامل به الإنسان.

لكن ما وضعني في حيرة حقاً أمام أقوال الجيولوجيين هو ما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ١١٨٩ الصادر في يوم الاثنين ١٩٨٢/٣/١م الموافق ٦ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ تحت عنوان : «مصر مقبلة على سلسلة من الزلازل» جاء في جزء منه ما يلي : «ويقول الدكتور عبدالله المغربي : إن أسوان ليست منطقة زلازل فهي منطقة صخرية في تركيبها الجيولوجي ، وهي أكثر أمناً من منطقة «الدلتا» مثلاً.

والمعروف أن قشرة أرضية البحر الأحمر تعتبر بالقياس الجيولوجي منطقة حديثة لم تستقر بعد رغم أن عمرها تجاوز مليوني سنة وما زالت تبحث عن الاستقرار. انتهى

هذه السطور الأخيرة جعلتني أحتارين كلام الدكتور الدباغ والدكتور المغربي لأن الفارق كبير جداً يصل إلى ملايين السنين ثم أن ذلك وضع أمامي سؤالاً هو: هل برزت

هذه الجزر إبان تكون أرضية البحر الأحمر؟ أم أن ذلك حدث بعد مرور زمن جيولوجي يعلم الله مداه؟

هذا السؤال يجيب عليه طبيعة أرضية هذه الجزر، إذ أن الشواهد كلها تدل على أنها برزت بعد أن تكون البحر الأحمر الذي يعتبره العلماء حديثاً نسبياً، وهذا واضح من الكائنات البحرية والقواقع المتحجرة التي تثبت - بدون أدنى شك - أنها كانت مغمورة - ولمدة طويلة - تحت مياه البحر.

وشكل جزيرة فرسان يميل إلى الطول وامتدادها يأتي من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ويغلب عليها الانحناء إلى الجنوب وتحيط بها مجموعة من الجزر الأخرى أكبرها جزيرة «السجيد» أو فرسان الصغرى كما هو معروف جغرافياً. هذه الجزيرة يفصل بينها وبين فرسان الكبرى ممر مائي لا يزيد عرضه عن ثلاثمائة متر، ويسميه الفرسانيون «المعادي» لأن الجمال تستطيع أن تعدو منه عندما ينتقل الأهلون من السجيد وإليها ويتم ذلك في حالة الجزر البحري.

ويبلغ طول جزيرة فرسان من جنوبها الشرقي إلى نهايتها في شمالها الغربي حوالي خمسة وسبعين كيلومتراً. أما متوسط عرضها فيبلغ حوالي ثلاثين كيلومتراً.

وقد أشار إليها الأستاذ محمد أحمد العقيلي في كتابه «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» صفحة ١٢٥ تحت عنوان «جزيرة فرسان» فقال:

جزيرة فرسان من أكبر جزر البحر الأحمر مساحة إن لم تكن أكبرها مساحة وأكثرها سكاناً وأخصبها تربة، وموقعها بين خطي العرض ١٦°٥ ، ١٧°٥ وخطي الطول ٤١° ، ٤٢° تقريباً. تبعد عن مدينة جازان غرباً خمسين ميلاً بحرياً^(١) وأطول جهة فيها هي من مرسى الخور شرقاً^(٢) إلى طرف صير غرباً ٧٥ كيلاً ويقصر في غيرهما إلى ٤٠ ، ٣٥ ،

(١) في بداية الكتاب ٥ كيلو

(٢) الصحيح من رأس جبل البقر

٣٠ كيلاً .

وأعرض جهة هي فيما بين «رأس عبّرة» إلى مرسى «الخص» ٤٠ كيلاً . ويقصر في غيرهما إلى ٣٠ ، فلو اعتبرنا متوسط طولها ٣٥ وعرضها ٣٠ لبلغت مساحتها (١٠٥٠) كيلا مربعا، وهي جزيرة صخرية يقدر عدد سكانها مع القرى التابعة لها ٤٦٠٠ نسمة تقريبا .

وتعليقي على ما ذكره الأستاذ العقيلي أنه لم يتعرض إلى أن عدد السكان كان يزيد كثيراً عن هذا الرقم عندما كان مواطنو هذه الجزر مستقرين وعندما كانت حياتهم تعتمد على منتجات البحر الذي كانوا يعتمدون عليه في حياتهم ، وقد تناقص عدد السكان بعد أن تركوا الاعتماد على البحر واتجهوا إلى مصادر العيش الأخرى في مختلف مدن المملكة، وتبع ذلك هجرة كثيفة سعيًا وراء الرزق ولقمة العيش ، وهذا ما دعاني إلى أن ألمح عن هذه الهجرة في قصيدة ألقيتها أمام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية عندما زار فرسان .

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| والهاجرون دياراً كان يملؤها | صخب الحياة وأصوات المنادين |
| أضحت تحن إلى الضوضاء ساحتها | ولالأهازيج تحيي عهدها فينا |
| هذه المنازل في شوق لمن رحلوا | تدعو الإله بأشواق المحبين |
| بأن يرد إلى السكنى أحببتها | ويجمع الشمل أزهاراً ونسرينا |

ومن خصائص فرسان الطبيعية أنها تتمتع بشواطئ غاية في الروعة والجمال حيث تمتاز برمالها البيضاء الناصعة ومياهها الملونة الجذابة ، ومع أنني أحاول أن أكون بعيداً عن أن أبلى معلوماتي هذه بزخات من العاطفة إلا أنني أجِد نفسي أقول : كم يطيب لإنسان هذا العصر أن يرتقي في أحضان هذه الشواطئ يذيب فيها أحزانه ويغسل بمياهها الصافية همومه ويدفن في رمالها الفضية البكر مشاكله وآهاته .



▲ احد المناظر الطبيعية المنتشرة في جزر فرسان .



من المؤسف جداً أنني - رغم محاولاتي - لم أجِد عن فرسان من المراجع أو المصادر ما يشبع شهيتي من المعلومات التاريخية عن هذه الجزر ذات الموقع الاستراتيجي الحساس على الرغم من وجود شواهد كثيرة من آثارها تدل على أنها لم تعش على هامش التاريخ. يدلنا على ذلك ما فيها من آثار وكتابات تعود إلى تاريخ دولة «حمير» إحدى دول اليمن الثلاث الكبرى «سبأ» و«معين» و«حمير». أضف إلى ذلك أنه قد تحدث عنها ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» فقال كلاماً معناه: «أن جزر فرسان يسكنها قوم من قبائل تغلب، وأنهم كانوا قبل دخول الإسلام إليها يدينون بالنصرانية، وقد عرف سكان هذه الجزر بشدة البأس، وكانت تقوم حروب بينهم وبين قوم يدعون «بنو مجيد» - بالقرب من باب المندب، وأن لهم رحلات وتجارة مع البلدان المجاورة لهم».

كما ذكر الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال: «وفرسان قبيلة من تغلب وكانوا قديماً نصارى ولهم كنائس في جزائر فرسان قد خربت، وفيهم بأس، وقد يحاربهم بنو مجيد، ويحملون التجارة إلى بلاد الحبشة، ولهم في السنة السفرة فينضم إليهم كثير من الناس، ونُسَاب حمير يقولون إنهم من حمير» انتهى.

والبلدان المجاورة لهذه الجزر هي : اليمن ، والحبشة ، والسودان ، وقد امتدت تجارة أهلها إلى بلاد الهند وبعض بلدان أوروبا كبريطانيا وفرنسا وإيطاليا كما سأتي على ذلك فيما بعد .

ويوجد الآن في فرسان جبل يعرف بـ «جبل كنيسة» علل الأستاذ محمد أحمد العقيلي صاحب كتاب «المخلاف السليمانى في التاريخ» في أحد أعداد «مجلة العرب» التي يصدرها أستاذنا «حمد الجاسر» علل وجود اسم ذلك الجبل والأثر الموجود عليه بأنه من بقايا النصرانية إلا أن هناك رأياً آخر سماعياً قد عزا ذلك إلى أن فرسان كان بها وجود برتغالي إبان القرن الرابع عشر الميلادي أي خلال الحقبة التي كانت فيها حركة الكشف الجغرافية والجشع الاستعماري على أشدهما .

وبهذه المناسبة أشير إلى ما نشرته مجلة «أهلاً وسهلاً» التي تصدرها «السعودية» في أحد أعدادها في القسم المحرر باللغة الإنجليزية تحت عنوان «جزر فرسان» «أنجلوبسكي يزور لؤلؤة البحر الأحمر» جاء فيه :

في أواخر القرن السابع عشر كتب الرحالة البريطاني «جون أوفنجتون» عن أرخبيل مجموعة جزر فرسان خارج ساحل البحر الأحمر الذي هو المملكة العربية السعودية اليوم :

جيزون «جيزان» آخر مدينة تقع على الساحل التابع لملك Arabia Felix^(١) إنها

فراسخ عظيمة الشهرة في هذا المجال ،
يرسل كمية من الدخن «نوع من الحبوب
Arabia .

«١» هكذا جاء في الموضوع

النصرانية في فرسان

وأعود مرة ثانية إلى الديانة النصرانية ووجودها في هذه الجزر إذ أنني سأعتمد إلى الاستنتاج مما سأنقله عن كتاب «اليمن الخضراء» لمؤلفه محمد بن علي الأكوع تحت عنوان «رأي مؤرخي اليونان» صفحة ١٥٨ الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ. ١٩٧١ م حيث جاء فيه :

«تشير المصادر اليونانية إلى أن غزو النصرانية لنجران إنما كان عن طريق الحبشة التي أصبحت تدين بالدين المسيحي الذي أدخلته إلى الحبشة رغبة القيصر الروماني «قسطنطوس» في نشر النصرانية هناك على يد كاهن رومي اسمه «فرومنتوس» الذي أصبح أسقفا هنالك ثم قامت الحبشة بدورها بالتبشير باليمن وابتدأت بنجران» .

ويفند المؤلف هذا الرأي بقوله : «إنه من غير المعقول أن المرء الحامل لعقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو دين من الأديان أن يبعد النجعة لبذر دعوته في أناس لا يعرفهم ولا يمت إليهم بصلة ولا قيمة له عندهم وهم على ملة تخالف ما جاء به .

وإن المعروف أن تبدأ الدعوة بين الأقربين وأدنى الناس إليه ومن يعرف قيمته بين قومه من حيازة الشرف والصدق والأمانة ، وكان من حق هذه الدعوة والتبشير أن تبدأ على أقل تقدير في السواحل المجاورة للحبشة لما بينهما من تبادل تجاري وتعارف وحسن جوار حتى يتسنى له التوغل إلى داخل البلاد .

ثم لماذا اختار نجران - وهي في أقصى الشمال - التي تكلفه جهداً ومشقة وعناء السفر بالخط والترحال ، ولم لم يختار غير نجران «كظفار» أو «صنعاء» أو غيرها من العواصم المشهورة في ذلك التاريخ ، وهذا ما لم ينقل إلينا كما لم ينقل إلينا أن النصرانية توطنت غير نجران واعتنقها قبائل غير القبيلة التي تسكن نجران ، وإن كان «لسان اليمن» يحدثنا عن نصارى قبيلة «الفرسان» في «موزع» وفي جزائر فرسان . انتهى

وإذا عرفنا أن مدينة موزع - التي لم يبق منها سوى الأطلال - هي مدينة من مدن «تهامة» في الداخل وتقع مقابلة لمدينة «المخا» اليمنية الساحلية التي اقترن اسمها بالبن اليمني الجيد «بن مخا» وفي الشمال الشرقي منها. إذا عرفنا ذلك استنتجنا أنه كانت توجد صلة في الدم والقربى بين أفراد وجماعات قبائل الفرسان هذه التي أشار إليها لسان اليمن بأنها كانت تسكن مدينة موزع وجزائر فرسان، وفي هذه الحالة يصبح من الطبيعي أن الديانة واحدة، وأن هذه الديانة - وهي النصرانية - قادمة إليهما من الحبشة - دون أدنى شك بحكم موقعيهما القريين من الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل لهما والذي تقع الحبشة في نطاقه.

لكن السؤال الذي يظل حائراً: لماذا لم تكن ديانة الفرسانيين ديانة سكان الساحل الشرقي للبحر الأحمر مع أنه أقرب مسافة من الساحل الغربي؟ وهل خضعت هذه الجزر في يوم من الأيام للنفوذ الحبشي وفرضت النصرانية على أهلها؟ أم أن ذلك كان نتيجة تأثير واختلاط لو فرضنا أن علاقة سكان هذه الجزر أمتن بالساحل الغربي منها بالساحل الشرقي للبحر الأحمر؟ مع أن الساحل الشرقي هو الأقرب مما دعا «لويس المعلوف» أن يقول في قاموسه «المنجد في اللغة»: «فرسان مجموعة جزائر واقعة جنوبي غربي رأس جيزان وهو مرفأ أبي العريش في تهامة (جزيرة العرب) يصطاد سكانها اللؤلؤ والسلاحف». ولا أدري ماذا يقصد بقوله: وهو مرفأ أبي العريش، فإن كان يقصد بذلك جيزان فهذا خطأ لأن مدينة جيزان أقدم عمراً من مدينة أبي عريش الواقعة على بعد ٧٠ كيلومتراً شرقاً منها، والذي لا يعرف الحقيقة يظن أن جيزان أنشئت من أجل أن تكون ميناء لأبي عريش. وناحية أخرى أن جيزان تعتبر مرفأ لتهامة عسير كلها سواء مدن السهول أو مدن الجبال مثل «أبها» و«خميس مشيط»، وإن كان يقصد بأن فرسان - وهذا ما استبعده - هي المرفأ الذي قصده فهذا كلام من غير الضموري إيضاح خطئه.

لتاريخ ذكر أن مدينة جيزان الحالية أو «جازان» - على رأي لياً مدينة «عثر» حيث ورد ذكرها في النقوش الحميرية. كما ريو بخلاف عظيم، وثغر جميل، وساحل جليل.



سبقَت الإشارة إلى الجبل المسمى بـ «جبل كنيسة» وسبقَت الإشارة أيضاً إلى سبب هذه التسمية ولكننا لم نشر إلى موقع هذا الجبل بالنسبة لفرسان «المدينة» - إن جاز هذا التعبير - فهو يقع في الشمال منها وعلى بعد كيلومتر واحد تقريباً ولم يبق من الكنيسة شيء - إن كانت هناك كنيسة - سوى بقايا من الحصن البحري الذي يفرش به أهل فرسان ساحات منازلهم حتى يومنا هذا، كما أنه لم يبق سوى نتوءات بسيطة من بقايا تدل على أن ذلك الموضع كان به بناء في يوم من الأيام.

والاستدلال على أن كنيسة كانت في هذا المكان إنما جاء من تسمية ذلك الموضع بالاسم الذي ذكرناه، وهو اسم توارثه الأبناء عن الآباء، وطبيعي أنه لم يأت جزافاً أو بمحض الصدفة ولا بد أن يكون له أساس.



خرائب واطلال في وادي مطر ◀

والواقع أن جزيرة فرسان غنية بالآثار التاريخية التي تحتاج إلى عمل جاد يكشف أسرارها ويبرز أهميتها. فهناك آثار في جنوب مباني البلدة في منطقة تعرف بـ «وادي مطر» تبعد حوالي تسعة كيلومترات تضم أطلالاً ذات صخور كبيرة عليها بعض كتابات فسرهما بعض خبراء «قسم الآثار» بوزارة المعارف بأنها كتابات حميرية، ووجد بها صاحب المخلاف السليماني في الجنوب أثناء قيامه برحلة إلى هذا المكان وجد بها قدماً لتمثال إنسان مصنوعة من الطين المحروق. كما يوجد بها حجر على شكل مثلث به ثلاث فتحات اثنتان منها تمثل العينين

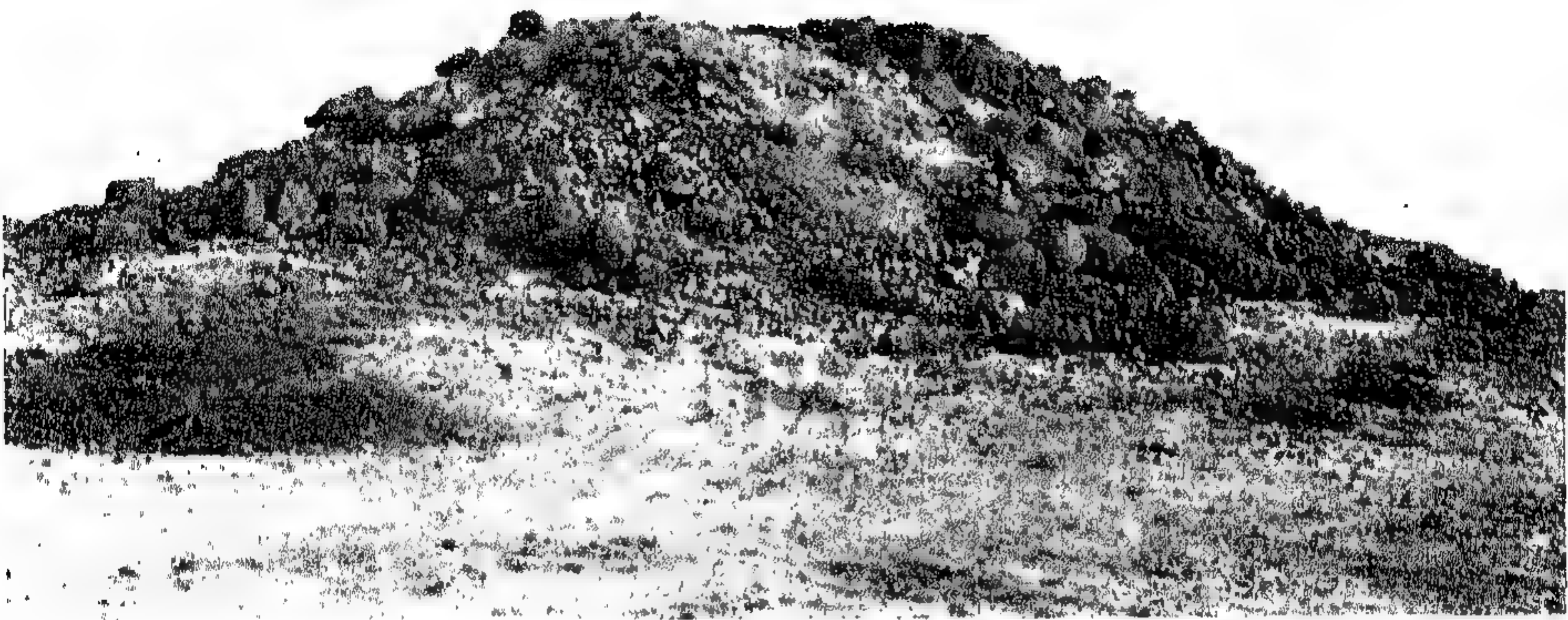
والثالثة تمثل فتحة الفم ، وهذا الشكل ربما قصد به نحتاً لوجه إنسان ولكن بطريقة بدائية . وفي قرية «القصار» - التي سنتحدث عنها فيما بعد - يوجد مكان يسمى «الكدمي» به بنايات متهدمة ذات أحجار كبيرة يغلب عليها الطابع الهندسي - مربعات ومستطيلات - وبقايا أحجار منحوتة تشبه - إلى حد كبير - الأعمدة الرومانية . ومما يؤسف له أن هذه الحجارة وهذه الأعمدة قد سطا عليها من لا يعرف قيمتها واستخدمت في بناء المنازل العادية المجاورة لذلك المكان ، وبعض هذه الحجارة لا يخلو من كتابات قديمة ربما تكون حميرية أو سبئية أو معينية .

وإلى الشرق من هذه القرية وجد نفق يضم رفات مجموعة من الأشخاص غير العاديين طولاً وهيكلأ أعيدوا إلى نفقهم بعد الكشف عنهم بطريق الصدفة من قبل بعض الأهالي . وأسفل هذا النفق - في أرض مجاورة - وجدت فرقة تابعة للمواصلات قدراً وملعقة مصنوعتين من الطين عندما كانت هذه الفرقة تقوم بأخذ التربة من ذلك المكان لتمهيد الطريق المؤدية من الميناء إلى البلدة ، وللأسف الشديد لم يعرف واجدوا هذين النموذجين قيمتهما الأثرية مما أدى إلى عدم العناية بهما وفقدانها .

وعلى مقربة من هذا المكان توجد بقايا أبنية تشير إلى أنها كانت عبارة عن أفران مبنية من الجص والفخار المحروق ، وهذه الأبنية لا تزال باقية حتى الآن . ومن يدري؟ فلربما توجد آثار قيمة وجديرة بالاهتمام سيعثر عليها لو أن المسؤولين عن الآثار اهتموا بهذه الجزر وبذلوا نحوها شيئاً من الجهد والمال ، فهناك أماكن كثيرة مازالت مجهولة وبحاجة إلى البحث والتنقيب .

قلعة لقمان

لقد قيل قديماً : إن الأسماء لا تعلل ، وقلعة لقمان أو جبل لقمان كما يسميه الأهالي والواقع في الجنوب الشرقي من البلدة وعلى بعد عشرة كيلومترات منها وثلاثة كيلومترات من قرية القصار اسم لا يعرف سببه ، وهو عبارة عن حجارة ضخمة متهدمة تدل على أنها أنقاض قلعة قديمة بنيت على مرتفع يطل على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للجزيرة وتطل على أنقاض تقع في الجنوب منها على بعد اثنين كيلومتراً تقريباً تدل على أن قريتين كانتا



▲ قلعة لقمان قديمة متهدمة تبدو كفوهة بركان

موجودتين بالقرب منها. لكن الذي لم يعرف هو: هل وجدت هذه الآثار المتقاربة في زمن واحد؟ هذا هو السؤال الذي يحتاج إلى الإجابة عليه. إن أثر بناء هذه القلعة مازال واضحاً وبطريقة تدعو إلى الدهشة في كيفية رفع تلك الحجارة الضخمة التي لا يعرف لها تاريخ ولا تتوفر عنها أية معلومات.

مباني غرين

والأعجب منها المباني والآثار الموجودة في منطقة «غرين» التي يبلغ حجم الحجر الواحد منها حوالي ٢٥×١٥ متر أو أكثر كما يزن عدة أطنان إن قدر له أن يوزن. وفي موضع آخر يدعى «القرية» توجد آثار مشابهة أبرز ما فيها الأسرة المصنوعة من

الحجارة وبقايا غرف لا يزيد الضلع الواحد من أضلاع أي منها عن حجرين منحوتين بشكل هندسي .

وأثار غرين تنقسم إلى قسمين أحدهما يسمى «غرين البر» والآخر «غرين البحر» وهو القسم المحاذي للشاطئ ، وتحكي الروايات الشعبية أن معركة قد نشبت بين القريتين سببها عجوز نائمة كانت تغذي نار الفتنة بين الفئتين حتى أدت إلى تطاحن أفرادهما وهلاكهم ، ولذلك يوجد مثل شعبي في فرسان حيث يقال : «فلانة عجوز غرين» إذا وجد في المجتمع من تقوم أو حتى من يقوم بنقل الكلام بين الناس إذا كان هذا الكلام فيه ما يجرحهم . ولعل «الخندق» المظمور بالتراب الموجود في هذه المنطقة يكون قبراً جماعياً يبرهن صحة هذه الرواية .

أعود إلى الآثار مرة ثانية فأقول : إن هذه الأشكال جميعها سواء في وادي مطر أو في الكدمي بقرية القصار أو في قلعة لقمان وغرين والقرية ظلت جميعها تضع أمامي تساؤلات كنت أجهل الإجابة عليها حتى جاء بعض الخبراء التابعين لقسم الآثار واستنتجوا من الكتابات الموجودة على بعضها أنها تعود إلى عهد الدولة الحميرية اليمنية كما تؤكد لي ذلك عندما زرت «اليمن» وشاهدت بعض آثارها في كل من قصر «غمدان» بمدينة «صنعاء» و«سد مأرب» وغيرهما حيث وجدت تشابهاً كبيراً في الشكل وفي طريقة وحدة البناء والتركيب والتداخل والربط بين الأحجار وبعضها ببعض

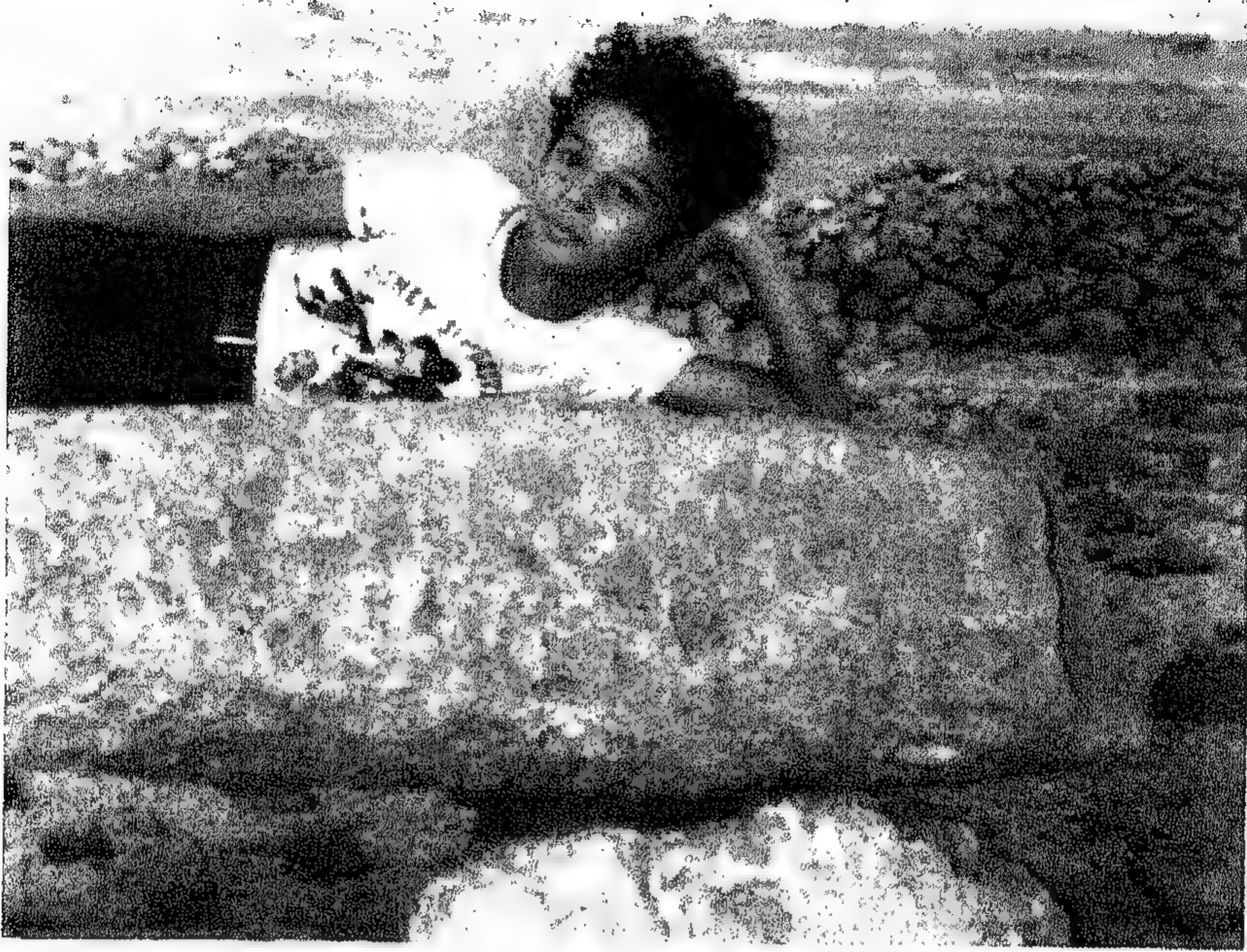
وإذا تخطينا العصور الغابرة واجتزنا عتبات التاريخ وانتظرنا قطار الزمن قليلاً أمام عهد «الإمبراطورية العثمانية» فإننا سنجد آثارها ما زالت باقية : ففي جنوب مباني البلدة توجد منطقة «العُرَضِي» وهي عبارة عن مجموعة بنايات مستديرة أو مستطيلة الشكل كان الجنود العثمانيون يتخذونها معسكراً لهم وقد تحولت هذه الشكنات وبالأعلى على العثمانيين أنفسهم خلال الانتفاضة التي انتفضها العرب على الحكم التركي حيث قاوم الفرسانيون هذا الحكم وحدثت معركة بينهم وبين الجنود العثمانيين أسفرت عن مصرع خمسة وعشرين جندياً من الجيش العثماني مقابل مواطن فرسان واحد وذلك لأن الفرسانيين كانوا يقاتلون من تلك الشكنات في الوقت الذي كان فيه الجنود العثمانيون يقاتلون في العراء لأنهم قادمون من سفنهم الراسية في ميناء «جنابه» الأمر الذي جعل هؤلاء الجنود يطلبون النجدة من حكومتهم لولا أن الأمر انتهى بالوساطة والصلح ثم التسليم للدولة العثمانية حتى نهايتها من كل البقاع التي كانت تسيطر عليها .

وبجوار هذه الثكنات العسكرية خلف العثمانيون خطاً ممهداً يصل البلدة بالميناء السالف الذكر، هذا الخط يسمى «الاسكلة» وكان يستخدم كممر للعربات التي تجرها الجياد والبغال وتنقل عبرها المؤن والمواد الغذائية اللازمة للحامية العثمانية الموجودة في هذه الثكنات وفي القلعة العثمانية الواقعة في شمال البلدة والمبنية فوق تل مرتفع يشرف أيضاً على جميع سواحل الجزيرة تقريباً عدا الساحل الشمالي الغربي الذي تمتد الجزيرة ناحيته حوالي ٧٥ كم كما أسلفنا.

هذه القلعة تختلف عن قلعة لقمان التي سبق الحديث عنها، وهي مبنية من الحجارة والجص الموجودة خاماته بكثرة في فرسان، وقد بُني سقفها من جريد النخيل الموضوع على أعمدة من قضبان سكة حديد، وقد بدأ هذا السقف يتآكل وتظهر فيه فجوات تتسع يوماً بعد يوم لعدم وجود الصيانة اللازمة لهذه القلعة التي تعتبر أثراً بارزاً من آثار العثمانيين في الجزيرة.



△ كتابة أثرية على فوهة بئر في منطقة غرين



▲ سرير منحوت من الحجارة في آثار غرين



بئر قديم منحوت في الصخر وقد كان كل بئر من هذه الآبار المنتشرة يستمر الحفر فيه لمدة تزيد على العام لكي يكتمل فالأرض كلها صخرية .

▶ أقدم جامع في الجزيرة



◀ واحد من المداخل المؤدية إلى منزل قديم



● مسجد الشيخ ابراهيم النجدي

فرسان واللؤلؤ

الإنسان ابن بيئته كما يقولون ، وبطبيعة الحال فإن البيئة تفرض عليه أن يتأقلم معها وتفرض عليه نوع الحياة التي يجب أن يعيشها.

والبحر بجماله الأخاذ ومعطياته المتنوعة الوفيرة غالباً ما يجتذب سكان السواحل إلى امتطاء أمواجه وارتياح أعماقه للحصول على تلك المعطيات خاصة إذا كانت ذات قيمة مالية كبيرة كاللؤلؤ الذي توجد مناطق صيده بكثرة على سواحل هذه الجزيرة أو الجزر المجاورة لها.

من هذا المنطلق فرض البحر على سكان جزر فرسان حياة خاصة من الناحية المعيشية والاقتصادية ، فهي ليست ذات موارد مائية تساعد على الزراعة فيها ، وإن الزراعة التي سأحدث عنها في فصل خاص ليست إلا استثناء في حياة سكان هذه الجزر أو من الشواذ التي تثبت القاعدة ، فهي حياة زراعية بسيطة تعتمد على الأمطار غير المنتظمة في الغالب .

من ذلك كله اتجه هؤلاء السكان إلى البحر يجوبون أرجاءه ويغامرون بحياتهم في مداه الواسع ، ويقضون الأسابيع والشهور بعيدين عن الأهل والوطن يصارعون أمواجه وأنواءه ويستمتعون بسويحات تجمعهم فيها لياليه القمرية أحياناً والضاحكة نجومها أحياناً أخرى فيرسلونها آهات وزفرات شجية خلفت لنا ثروة هائلة من الألحان والكلمات الرقيقة التي أبدعها الحرمان والفراق والمعاناة ستتعرض لذكر شيء منها فيما بعد .

لقد كانت السفن الفرسانية تسافر إلى الغوص في مواسم معينة من العام بحثاً عن اللؤلؤ الذي توجد مصائده قريبة من شواطئ هذه الجزر - كما أسلفنا - أو بالقرب من الجزر



● منزل أحمد منور
الرفاعي انعكاس
للترف أيام تجارة اللؤلؤ

المجاورة لها والواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر مثل جرائر (دهلك) ثم تعود محملة بالمحصول الجيد الوفير الذي يتركز فيما بعد في أيدي قلة من تجاره المشهورين إذ يقومون بشرائه من الغواصين في الأسواق المحلية، وعندما تتجمع لديهم الكميات التجارية الكافية للتسويق والبيع في الخارج فإنهم يسافرون لبيعه في «عدن» - عندما كانت سوقاً مفتوحة - أو في «إمارات الخليج العربي» آنذاك «دول الخليج حالياً».

وكبار التجار منهم يسافرون إلى مدى أبعد كإندونيسيا والباكستان، بل دفع الغنى بعضهم إلى السفر إلى بلدان أوروبا «فرنسا، بريطانيا، إيطاليا» وعرجوا في أسفارهم على كل من مصر وسورية وبلدان أخرى في الشرق الأوسط في وقت كانت فيه المواصلات الحديثة بدائية أو تكاد تكون معدومة.

وأشهر هؤلاء التجار التاجر المعروف «أحمد المنور الرفاعي» صاحب أشهر وأحسن بيت في فرسان، بل الذي أجمع عليه الزوار الذين قدموا من مختلف مدن المملكة من سعوديين

وأجانب بأنهم نادراً ما شاهدوا مثل هذه التحفة . بل لقد قال أحد الخبراء الأمريكيين : إن هذا المنزل يجب أن يقطع بطريقة فنية حديثة وينقل إلى متحف من المتاحف التي يرتادها الزوار والمهتمون بشؤون الفن والآثار.

ومن تجار اللؤلؤ المشهورين في فرسان الشيخ «إبراهيم النجدي التميمي» قدم من نجد ومن «حوطة بني تميم» على وجه الخصوص وقد عاصر هذا الرجل دخول الحكم السعودي إلى فرسان وقام بمساعي مشكورة في استقبال الجنود وإكرامهم والتعارف بين رؤساء هؤلاء الجنود وأعيان البلدة، وقد أصبح من التجار المعروفين في الجزيرة ومسجده الذي يعتبر معلماً بارزاً في فرسان يشهد له بالشراء . بالإضافة إلى تجار آخرين أمثال محمد إبراهيم زيدان وأحمد غاصب وإبراهيم أحمد عقيلي وهادي حسن عثمان، وغيرهم كثيرون تاجروا باللؤلؤ وسافروا إلى الخارج وعادوا وفي عقولهم أفكار متطورة تجلت في الفن المعماري الذي شيّدوه، وما زالت آثارهم تشهد بما وصلوا إليه من ذوق رفيع وحياة مرفهة .

ولا أقول : إن الفرسانيين قد اقتصرت حياتهم على صيد اللؤلؤ واستخراجه فقط فالبعض منهم اتجه اتجاهات أخرى منها صيد الأسماك لأن مياه هذه الجزر تعتبر مصائد جيدة للأسماك كما هي مصائد جيدة للمحار وعلى القاريء الكريم - إذا أراد أن يعرف ذلك أن يرجع إلى كتاب «عالم البحار، الجزر، الأسماك، الطيور» تأليف العقيد «صالح بن محمد بن مشيلح الحربي» إصدار نادي جدة الأدبي - الطبعة الأولى - .

● قطاع زخرفي ومنقوشات داخل مسجد الشيخ
إبراهيم النجدي





▲ واجهة منزل احمد المنور الرفاعي وبها زخارف
ونقوش انعكاس للترف أيام تجارة اللؤلؤ



قطاع زخرفي داخل منزل الرفاعي



صيد اللؤلؤ، حين كانت تجارة الجزيرة تعتمد عليه، وتصدره الى بلدان مختلفة. ومنها أوروبا، وقد تعرف اهل الجزيرة من خلال هذه الزيارات التجارية، على مستوى الشعوب الأخرى وفي الصورة واحد من تجار اللؤلؤ القدامى

أبرز العلماء والشخصيات

هذه الجزر لا تخلو من علم، وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا أناساً برزوا وساهموا بعلومهم - ولو على مستوى هذه المنطقة على الأقل - إلا أنه قد جاء في «الأعلام» لخير الدين الزركلي: «الجزء الأول - الطبعة الثالثة» مايلي؛

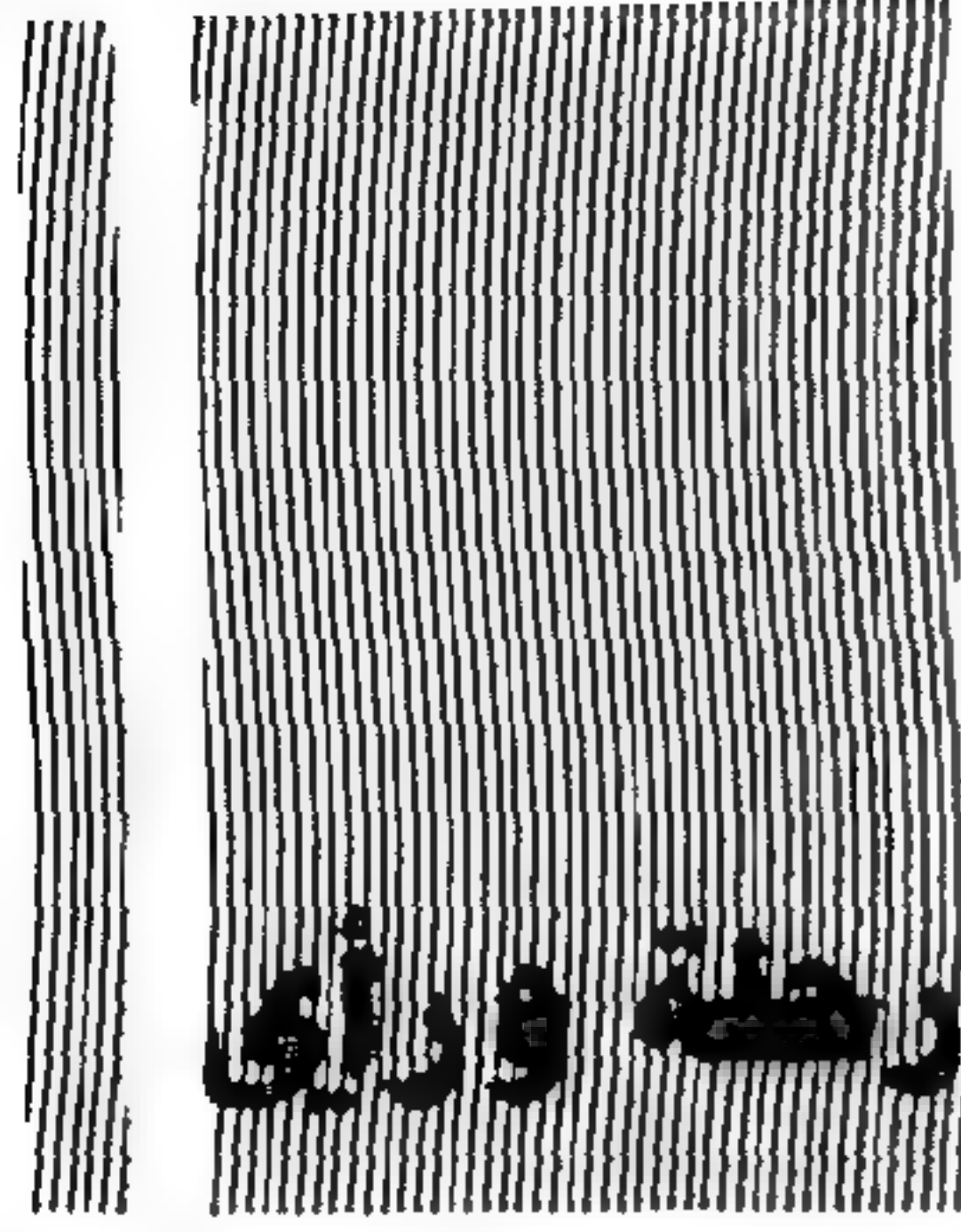
«الفرساني (٠٠ - ٦٢٦هـ) (٠٠ - ١٢٢٩م) إبراهيم بن أبي بكر بن علي الفرساني سري الدين: قاضي صنعاء. يمني، فقيه له مصنفات في الأصول على مذهب الأشعري. نسبته إلى جزائر فرسان في البحر الأحمر».

وقد أشار المؤلف في هامش الصفحة ٢٦ وهي الصفحة التي ورد فيها ذكر هذا العالم إلى وجود إيضاحات عنه في كتاب اسمه «العقود اللؤلؤية» من صفحة ١ : ٤٣ وهذا كتاب لم أتمكن من العثور عليه. ومن رجال فرسان المشهورين «عبدالله سهيل» الذي كان واحداً من أربعة كانوا يناوئون الحكم الإدريسي وهم:

- ١ - أحمد شريف الخواجي في صبيا
- ٢ - منصور الصعدي في أبي عريش
- ٣ - علي سويد الأنصاري في جازان
- ٤ - عبدالله سهيل في فرسان

وقد قطع الإدريسي يدي الأول، ونفى الثاني إلى شهران وسجن الثالث في جبل النظير. أما صاحبنا فقد فر أولاً إلى اليمن ثم عاد مؤخراً فقبض عليه وسجنه مدة ثم عفا عنه^(١)

«١» المخلاف السليمان «الجزء الثاني»



في عام ١٣٨٥هـ قام الصديق الأستاذ «علوي طه الصافي» رئيس تحرير مجلة «الفصل» برحلة صحفية إلى فرسان وبعض الجزر التابعة لها، وحين عاد كتب انطباعاته في جريدة «البلاد» التي تصدر في «جدة» في عددها رقم ٢٠٥٥ الصادر في ١٢/٧/١٣٨٥هـ نقتطف منها ما يأتي :

أنا أعارض من يقول : إنه ليس في بلادنا مناطق تصلح أن تكون سياحية . . إن فيها الكثير من المناطق التي لو أعطيناها قليلاً من الاهتمام وقليلاً من البذل . . ولو أعددنا لها البرامج الإعلامية والأفلام السينمائية لجلبنا إليها الكثير من السياح والباحثين عن الراحة والاستجمام .

وفرسان . . أو الجزيرة النائمة في أحضان البحر الأحمر مثل بسيط وبسيط جداً لما أعنيه . . هذه الجزيرة التي شهدت مجداً قديماً غابراً . نحن الآن في ميناء جيزان أو «جازان» عروس الجنوب وحاضرتة وعلينا كي نصل إلى فرسان أن نبحر من هذا الميناء العتيق . . ومعنى هذا أن لنا لقاء مع البحر وأهواله . . لقاء مع الصمت الرهيب والزجاجة العارمة .

رحلة فيها شيء من المغامرة . . وفي كثير من الأحيان يميل الإنسان إلى المغامرات لمعرفة الجديد . . فهو بطبيعته نزوع إلى التجديد . . لا يعرف شيئاً إلا ليدعه للتعرف على غيره . . وصحيح ما قيل إن لذة الحياة في الانتقال والتغير والتجديد .

أبحرنا من ميناء جيزان . . وسار «الللش» الذي يقلنا أو الزورق كما أسميه . . سار الزورق المستلهم بلا مجدف ولا حوراء تغني . . سار بمجموعة أعضاء الرحلة . . نداعب الأمواج الصغيرة وتداعبنا . . نتبادل «النكات» والحكايات .

كان الوقت قبل غروب الشمس ، وقد ذهب الأصيل سطح البحر فأكسبه روعة
وانبهاراً . . وتسلى الليل مرخٍ سدوله أو «ملاءته» السوداء «كالأخطبوط» ، وأخذت هيبة
البحر تسري في نفوسنا فتذكرت قول الشاعر «امرىء القيس» وليله :
وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي
وقد لا يكون ليلنا كليل امرىء القيس فهناك اختلاف في الزمان والمكان والمناسبة .

كلما توغلنا في السير ادلهم الظلام ، وساد الجو وقار كوقار الطاعنين في السن باستثناء
ذلك الهمس الخفيف الذي يدور بين محرك اللنش وبين البحر . . كان همساً أشبه بخير ماء
الوادي .

أدرت ظهري لأسرح مع البحر ، وأمتع ناظري بصفحته المخملية . . فاعتراني شعور
غريب . . وأخذت نسمة بحرية رطبة تداعب وجهي ورحت في نجوى طويلة مع البحر .
ترى ما سر صمت هذا العملاق أحياناً وثورته أحياناً أخرى؟ كم من الأسرار يضمها صدر
هذا البحر الكبير ويسدل عليها ستاراً كثيفاً؟ كم من النفوس البريئة أزهرها . . وحرمها
الحياة؟ كم من الأحلام الوردية داعبت قلوب أحبة تكسرت أمام لطحات أمواجه الغاضبة؟

أفقت من نجواي على صوت صديق يعرف فرسان وجزرها جيداً قائلاً : انظر . . هذه
أول جزر فرسان تصادفنا . . إننا ندعوها «آمنة» ، وتلك «أحبار» وأمامنا جزر أخرى سنأتي
إليها . . إن هذه الجزر لا يسكنها أحد . . إلا أن بعض شبان جيزان يقضون فيها أحياناً أيام
الإجازات . ولأهل فرسان خبرة واسعة في الملاحة مما جنبنا كثيراً من المآزق والشعاب في تلك
الظلمة الحالكة . . وهم لا يستعملون في ذلك أية وسيلة من الوسائل كالبوصلة مثلاً
ويكتفون بمعرفة الاتجاهات حسب النجوم .

ثم يستطرد الأستاذ الصافي في حديثه فيقول : وقد كان لأهل فرسان ميدان واسع في
التجارة . . وأهمها «تجارة اللؤلؤ» الذي كانوا يأخذونه معهم إلى أقطار مختلفة قد لا تصدق لو
قلت لك : إنهم وصلوا فرنسا . . وبريطانيا . . والهند . . والحبشة . . وقد أجاد بعضهم «اللغة
الفرنسية» وما زال منهم مواطن من عائلة «زيدان» يتقنها . . وقد شاهدت صوراً تذكارية لهم

في البلدان التي زاروها في الشرق والغرب . كما أن أهل فرسان أصحاب خبرة في بناء السفن الشراعية إلى جانب الزراعة وصيد اللؤلؤ والسمك .



عادات وأساطير

وتحت هذا العنوان في العدد ٢٠ من مجلة الفيصل كتبت ما يلي :
ويذكر الصديق الصافي من خلال انطباعاته أنه ما زال فريق كبير من أهل فرسان يعتقدون في الخرافات والأساطير . . وكثير من عاداتهم مليئة بمثل هذه الخرافات . . فهناك جبال يسمونها «المغوي» يعتقدون أن من ذهب إليها فإن مصيره المحتوم هو الضياع وعدم العودة لا إلى فرسان فحسب بل إلى الحياة . وهم يروون لك القصص والحكايات الغريبة ، فالتائه في هذه الجبال كلما صعد أكمة رأى فرسان ثم ينزل منها ليقع مرة أخرى فريسة للضياع ثم يجهد نفسه خلال بحثه ومحاولاته حتى يموت عطشاً وتعباً . وقد سموها بالمغوي لاعتقادهم أن هناك نجماً يلوح أمام السائر لغوايته فتضل منه الطريق . . فهو يوهمه أنه قريب من قرية مأهولة فيسير خلفه من مكان إلى آخر حتى يصبح عاجزاً عن معرفة المكان الذي هو فيه ، وعندها لا يعرف الشرق من الغرب ، وهذا النجم يظهر في الأفق ليلاً كبصيص النور.

وكتعقيب على ما كتبه الأستاذ الصافي أقول : إن هناك فرقاً بين الجبال التي أشار إليها وبين النجم الذي يشاهد ليلاً . فهذه الجبال يسميها أهل فرسان «جبال المغوي» وليست المغوي وهي بالفعل جبال توجد في الجزء الشمالي الشرقي وهي صعبة المسالك إلى حد ما . والذي يذهب إليها لأول مرة ربما يعاني بعض المصاعب في العودة إلى المدينة ولكن هذه المصاعب لم تصل إلى الحد الذي ترويه عنها الأساطير . ومن الأشياء التي تستحق الإشارة أن المنخفضات السهلية الواقعة بين هذه الجبال تكون غنية بالحشائش والمراعي في موسم الأمطار ولذلك تصبح ملجأ مأموناً للأغنام الفارة التي تستهويها خصوبة تلك السهول وغدرانها التي تمكث مدة طويلة دون أن تحف الأمر الذي يجعل هذه الأغنام لا تعود إلى أهلها وعندئذٍ تتكاثر وتصبح أغناماً متوحشة وغير موسومة بعلامة لأحد .

أما بالنسبة للمغوي أو النجم الذي أشار إليه الأستاذ الصافي فإن ذلك في اعتقادي موضوع علمي بحاجة إلى بحث ودراسة.

إذ أنه في نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف من كل عام وعندما تتكاثف السحب الموسمية التي تنزل أمطاراً - في أغلب الأحيان - وخاصة في الليالي المظلمة . هذه السحب تبدأ في التراكم بعد الظهر من كل يوم وتمكث حتى الهزيع الأول من الليل . في هذا الموسم وفي هذه الليالي الشديدة الظلمة تظهر أنوار متحركة في منطقة معينة وهي الطريق الواقعة بين فرسان (البلدة) وبين قرية القصار، والذي تجبره ظروفه على السير في هذه الطريق ليلاً في مثل هذه الأيام لا بد وأن يشاهد هذه الأنوار في عدة اتجاهات وهي تتحرك، وقد تؤدي هذه الأضواء المتحركة إلى خداعه فيظنها المكان الذي يريد الوصول إليه ويقضي ليلته سائراً وراء هذه التحركات التي لا تستقر على حال، وهذه ظاهرة يعرفها كل الفرسانين الذين عاشوا جزءاً من حياتهم قبل عهد دخول الكهرباء.

هذه الظاهرة الغريبة فسرت بأنها شياطين متحركة تعتمد إيذاء الناس وإغواءهم، وقالوا بأن الشيطان الذي يؤدي هذه العملية يضع أصبعه في موضع معين من جسمه ويخرجها مشتعلة على شكل سراج متحرك.

وتفسيري لهذه الظاهرة إنطلاقاً من ظهورها في موسم معين وفي منطقة معروفة بأنها حشرات طائرة أجسامها غنية بمادة «الفوسفور» تترأى للسائر بالشكل الذي يراه، ونتيجة لعدم معرفة الأقدمين لمثل هذه الظواهر العلمية ذهبوا يفسرونها حسب آرائهم الممزوجة بإضافات من الخيال الساذج وأضافوا إليها الأقاويل التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.





الزراعة والفرلان

أرض هذه الجزر - كما أسلفت - تغلب عليها الطبيعة الجبلية التي هي عبارة عن «شعاب مرجانية» كان يغمرها الماء ثم انحسر عنها، ولكنه على الرغم من ذلك توجد فيها مساحات لا بأس بها ذات تربة صالحة للزراعة استغلها المواطنون وجعلوا منها مزارع صغيرة، إلا أن شح الماء وقلته لم يجعلهم يستفيدون من هذه المزارع كما يجب بالإضافة إلى أن الأمطار التي تسقط خلال العام غير منتظمة وإذا نزلت هذه الأمطار في بعض المواسم فإن الزراعة تقتصر على الذرة المحلية في الغالب، والانتاج لا يفي بالاستهلاك المحلي، ولا أدري كيف ذكر «جون أوفنجتون» أن فرسان كانت تصدر الدخن، ولا أجد لذلك سوى تعليل واحد هو «ربما كانت الأمطار والأيدي العاملة في ذلك الوقت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. وإلى جانب زراعة الذرة المحلية يزرع «الشمام والبطيخ» وأرض فرسان تساعد على جودة نوعية هذا المحصول.

وتوجد واحات من النخيل في كل من قريتي القصارو «المحرق» وفي جزيرة «السجيد» قد يصل عدد أشجارها مجتمعة إلى ٢٥٠٠٠ نخلة تعيش على مياه الأمطار والآبار المحفورة في عمق الصخور على بعد يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ متراً، ومعظم هذه الآبار مياهها عذبة تستعمل للشرب والري والسبب في ذلك يعود إلى الطبيعة الصخرية للأرض إذ تحتفظ بمخزون مياه الأمطار التي تسقط في فترات متقطعة إلا أنه قد ثبت أن هذه الكمية سطحية سرعان ما تتحول إلى مياه مالحة في حالة تركيب مضخة على أي بئر منها.

ولا تخلو فرسان من الأعشاب والأشجار من بينها «الخزامى» وأشجار «البشام» غذاء الغزلان التي تشتهر بها فرسان والتي كانت حتى عهد قريب تتراءى قطعانها الكبيرة على مشارف البلدة بل - ولكثرتها - ينال بعضها في الأطراف من الأحياء السكنية، ومن المؤسف جداً أن هذا الحيوان الجميل أصبح مهدداً بالانقراض بسبب الإسراف في صيده بعد دخول السيارات وبندقيات «الشوزن» وعدم تقدير من يملكون هذه الوسائل لضرورة الإبقاء على هذه الثروة الحيوانية النادرة، كما أن ارتفاع أسعاره أدى إلى التسابق إلى إبادته حيث لا يكاد يرى الآن إلا في الشعاب الصعبة التي يحاول أن يوفر لنفسه الحماية فيها.



موانئ فرسان

فرسان كلها موانئء إذا جردنا كلمة ميناء من مواصفاتها الحديثة وذلك لأن السفن الشراعية والصغيرة تستطيع أن ترسو في أي ساحل منها، ومع ذلك اختار الفرسانيون لأنفسهم ثغوراً مناسبة على السواحل المتعددة للجزيرة نذكر المهم منها:

١ - تَبْتَا: يقع في الجنوب الشرقي لامتداد فرسان ويعتبر منطلقاً للسفن التي كانت تسافر إلى اليمن، وإلى عدن، وكان الميناء الرسمي لفرسان نظراً لكثرة السفن القادمة إليه من هذين البلدين وتفريغ حمولتها فيه، وقد ذهبت أهميته بعد كساد التجارة مع اليمنين وانصراف الفرسانيين عن التجارة مع الخارج نتيجة للازدهار الذي تعيشه بلادنا ووجود مجالات العمل في مختلف النواحي وانصراف الغالبية نحو التعليم والعمل الوظيفي، وقد جاء ذكر هذا الميناء في بعض الأهازيج التي كان يرددونها البحارة عند استعمالهم المجاديف أثناء عودتهم:

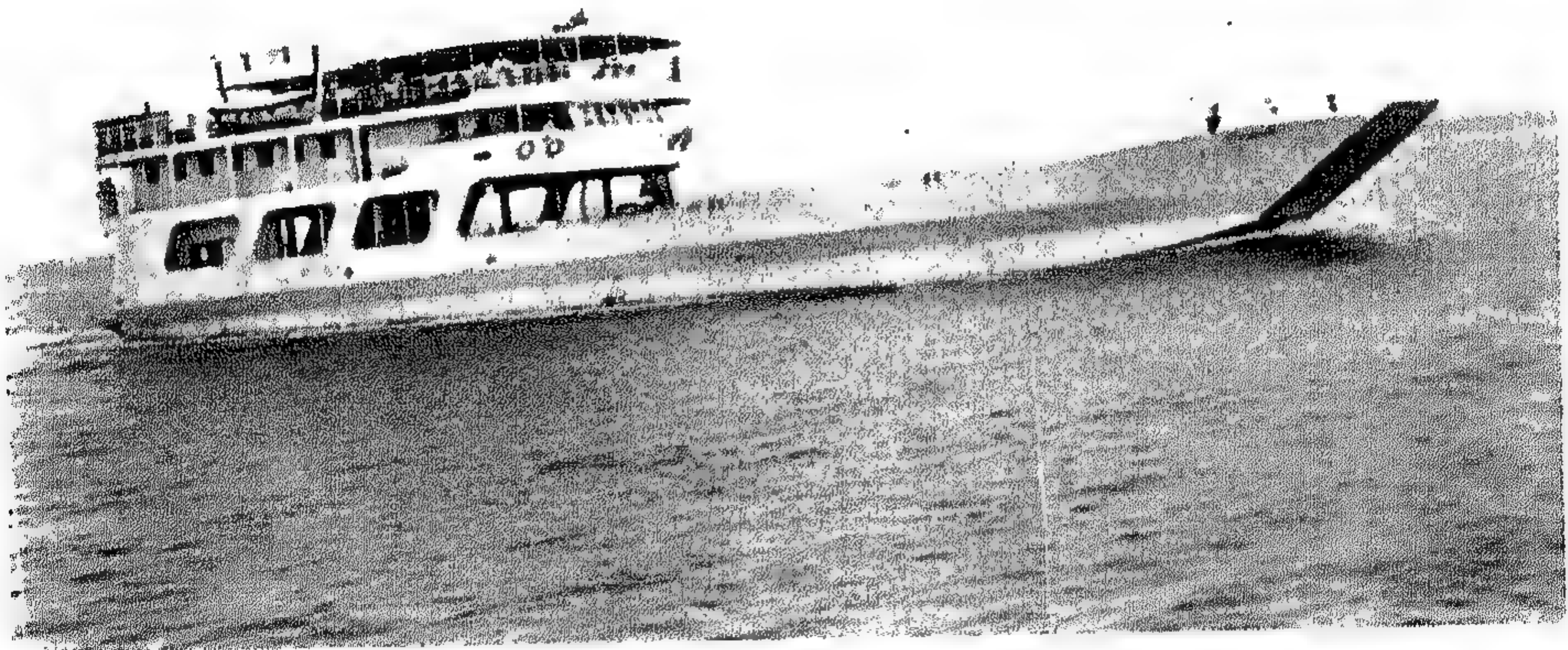
والله لا اعتني راس عبْرهُ يعجبني
«تبتا» تشوقني والروح فيسَعُ فيسَعُ^(١)

٢ - جَنَابَه: ميناء يقع جنوب غرب البلدة يتميز بعمق مياهه واستطاعته استقبال السفن الكبيرة ومنه كانت تبخر سفن الفرسانيين إلى جزائر «دهلك» على الجانب الغربي للبحر الأحمر وإلى السودان والحبشة، وتوجد بالقرب من شواطئ هذا الميناء مصائد غنية بالمحار المشهور بصفاء جوهراً لآلته كما أنه غني بالثروة السمكية التي تزود الأسواق المحلية بالأسماك حتى يومنا هذا، وشواطئه من أجمل شواطئ الجزيرة. والقادمون إلى فرسان من الزوار يقضون معظم أوقاتهم فيه يستمتعون بزرقة مياهه ونقاء رماله.

(١) فيسَعُ : بسرعة

٣ - نجله : بكسر الخاء وتشديد اللام ميناء صغير شمال فرسان كانت السفن الشراعية تتخذها مأمنا لها أثناء هبوب الرياح الجنوبية في فصل الشتاء، وتبحر منه إلى جيزان طوال أيام هذا الفصل، وقد ذهبت أهميته الآن بعد أن استبدل الشراع بالآلة وبعد أن أصبح ميناء «الخور» - الذي سيأتي الحديث عنه - هو الميناء الرسمي .

٤ - الخور: الميناء الرسمي الحالي للجزيرة، توجد فيه المباني الحديثة والمنشآت البحرية الحكومية التي قامت بنائها المديرية العامة لسلاح الحدود وبه رصيف حديث لاستقبال السفن القادمة من جيزان أو من غيرها، وفيه الآن يبنى ميناء حديث موسع تقوم بتنفيذه شركة «كوستين» الإنجليزية على مساحة من الأرض مقدارها ١٠٠٠ م^٢. هذا الميناء الحديث مدة بنائه سنتان وسيظل ثلاث سنوات تحت إشراف الشركة المنفذة، ولعله بعد إتمامه يغير ملامح الحياة في فرسان ويأتي بناء هذا الميناء ضمن خطة المؤسسة العامة للموانئ وتبلغ تكاليفه عدة مئات من ملايين الريالات وسيزود بمحطة خاصة للكهرباء ومحطة خاصة لتحلية مياه البحر المالحة. وميزة هذا الميناء أنه مأمّن طبيعي للسفن التي ترسو فيه بسبب هدوء أمواجه وموقعه في وسط مجموعة من الجزر الصغيرة والجبال. كما تكثر على جنباته أشجار «الشورى» وفي الجهات الداخلية منه توجد مناظر طبيعية خلابة تظهر عوامل التعرية في صخوره المزروعة وسط المياه. وأهم ميزة له أنه أقرب نقطة لميناء جيزان.



▲ صورة المعديّة (فرسان - هدية وزارة الداخلية) تقوم بنقل الركاب

القرى التابعة لفرسان

تضم جزيرة فرسان عدة قرى تقع في داخلها أي لا تنفصل عنها بحاجز مائي وهذه القرى هي :

١ - المحرق : موقعها جنوب بلدة فرسان على بعد تسعة كيلومترات ، يبلغ عدد سكانها خمسمائة نسمة تقريباً يقطنون فيها بصفة دائمة وفيما مضى كان عدد السكان يرتفع فيها إلى الضعف أيام الصيف بسبب انتقال بعض الفرسانيين إليها في موسم الرطب لأن بها مجموعة من النخيل سبقت الإشارة إليها ، وبالقرب من هذه القرية توجد منطقة وادي مطر الأثرية ، ومن مميزات وجود سمك «السيجان» في سواحلها كما يشتهر أهلها بإتقان صنع شباك صيد الأسماك وإجادة رقصة «الدانة» التي تنفرد بها فرسان .

٢ - القصار : مصيف الفرسانيين تبعد خمسة كيلومترات نحو الجنوب لا يسكنها أحد إلا في أيام الصيف حيث ينتقل إليها معظم الناس لقضاء موسم الرطب من ناحية وهو موسم يمتد قرابة ثلاثة شهور ، وبسبب عذوبة مائها وقربه من سطح الأرض من ناحية أخرى . بها عدد لا بأس به من النخيل وبها منطقة الكدمي الأثرية ، وبالقرب منها قلعة لقمان السالفة الذكر .

٣ - المسيلة : تقع في الشمال ، وهي أقرب القرى إذ لا تبعد سوى كيلومتر واحد . سكانها جميعهم من البدو ، ويطلق عليهم اسم «العبوس» . منازلهم حتى عهد قريب كانت مبنية من سعف النخيل ، والمرأة فيهم تلبس الملابس السوداء الثقيلة وتضع النقاب على وجهها بصفة دائمة ، وكانت تتزين بـ «الوشم» في وجهها ومعصمها ، ومن الصعب جداً أن تكشف عن فمها حتى في بيتها وبين ذويها وأهلها ، وقد انتهت الآن عملية التجميل بالوشم كما انتهت عملية ضرب «الودع» التي كانت كبار السن منهن يمارسنه كمصدر من مصادر الرزق ، وذلك بعد تحسن الأحوال المعيشية ودخول الجيل الجديد إلى المدارس ، ومن عاداتهم التي انقرضت الانتقال من المنزل الذي يموت فيه فرد من أفراد العائلة وهذا أيضاً يعود إلى انتشار الوعي والتعليم بينهم .

٤ - الحُسَيْن: بعدها عن فرسان ثلاثون كيلومترا وسكانها قليلون يشتغل معظمهم بالزراعة في مواسم الأمطار ويقوم بعضهم بتربية الجمال التي يعتمدون عليها في معيشتهم.

٥ - صَيْر: أكبر قرى فرسان تبعد عنها حوالي خمسة وأربعين كيلومترا. يمتاز أهلها بالحيوية والنشاط. ازدهرت فيها تجارة اللؤلؤ قديماً كما ازدهر فيها صيد الأسماك حديثاً. عدد سكانها يقارب ألف نسمة يعمل معظمهم في صيد السمك وتجارته ويساهمون بمقدار كبير في تزويد أسواق مدينة جدة بالأسماك المجففة كما يساهمون في تزويد أسواق مدينة جيزان بالأسماك الطازجة. يتميزون بالجدية في كل شيء ورغم ذلك فهم مولعون بالألعاب الشعبية ومحافظون عليها.



الجزر التابعة لفرسان

لقد سبق الحديث وذكرنا أن جزيرة فرسان والجزر التابعة لها تشكل أرخبيلاً من الجزر المتناثرة المتقاربة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وفيما يلي إيضاح لأسماء هذه الجزر التي تربو على ثمانين جزيرة:

- | | |
|--------------------|---------------------------|
| ١ - فرسان الكبرى . | ٢ - السجيد «فرسان الصغرى» |
| ٣ - قُباح | ٤ - دمسك |
| ٥ - زفاف | ٦ - جزيرة ابكر |
| ٧ - الدسان | ٨ - أبوشورايه |
| ٩ - جزيرة قاسم | ١٠ - سولين |
| ١١ - عبلات | ١٢ - منظر |
| ١٣ - سلوبه | ١٤ - الدويمه |
| ١٥ - العواشق | ١٦ - عكرم |
| ١٧ - أزروط | ١٨ - ذودفر |
| ١٩ - الغزا | ٢٠ - أم الوزف |
| ٢١ - ربا | ٢٢ - سمر |
| ٢٣ - فرخ سمر | ٢٤ - رامين |
| ٢٥ - مرين | ٢٦ - صَيْلُ ربا |
| ٢٧ - الهنديه | ٢٨ - المتواصلة |
| ٢٩ - غلام | ٣٠ - قماري |
| ٣١ - باقل | ٣٢ - أبوالمده |
| ٣٣ - مقمر | ٣٤ - هديفه |
| ٣٥ - وشكه | ٣٦ - ذوحراب |
| ٣٧ - ذو ثلاث | ٣٨ - أم السرو |
| ٣٩ - أبو محمد | ٤٠ - أم الشوك |

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| ٤١ - ساسوه | ٤٢ - الطرق |
| ٤٣ - كيرَه | ٤٤ - أم الحجر |
| ٤٥ - الأجهان | ٤٦ - شَمَه |
| ٤٧ - مَسَد | ٤٨ - البغله |
| ٤٩ - مطحن | ٥٠ - المالىح |
| ٥١ - سمر القحمة | ٥٢ - كُتْمَبَلْ |
| ٥٣ - فيران | ٥٤ - شُرَع |
| ٥٥ - أبوشقور | ٥٦ - سواحل |
| ٥٧ - ركبين | ٥٨ - غراب |
| ٥٩ - الضاحك | ٦٠ - ذوالراكه |
| ٦١ - أم الكذف | ٦٢ - أحبار |
| ٦٣ - آمنه | ٦٤ - أم الأَصْل |
| ٦٥ - أم الحزف | ٦٦ - ذوالكُتْب |
| ٦٧ - قاضيه | ٦٨ - العولتين |
| ٦٩ - دوشك | ٧٠ - سِيا |
| ٧١ - أم الأزافي | ٧٢ - أبوالبصار |
| ٧٣ - أم القبه | ٧٤ - شريف |
| ٧٥ - عبد | ٧٦ - جبل شِعْرَه كبير |
| ٧٧ - جبل شِعْرَه صغير | ٧٨ - جبل العير |
| ٧٩ - حافر | ٨٠ - الوصم |
| ٨١ - الشعبان | ٨٢ - أبوشعفه |
| ٨٣ - فرافر | ٨٤ - أبو الشرائع |



الجزر المسكونة

١ - فرسان : وقد سبق الحديث عنها .
ب - السجيد : «فرسان الصغرى» موقعها في الشمال الغربي من فرسان وتأتي بعدها من حيث المساحة وعدد السكان تضم مجموعة من القرى ويفصلها عن فرسان ممر مائي «قناة» لا يزيد عرضه عن ثلاثمائة متر كما لا يزيد عمقه عن ثلاثة أمتار وقد سبق الحديث عن هذا الممر وسبب تسميته بالمعادي . أرض هذه الجزيرة منبسطة وسواحلها جميلة تزينها أشجار النخيل . تتخذ منتجعا أيام الصيف ويتم الانتقال إليها على ظهور الجمال في مسافة تقدر بحوال ٣٥ كيلومترا . ولعل الفرسان تربطه ذكريات بذلك الممر الذي تعبره الجمال محملة بالأمثلة والنساء والأطفال معرضا نفسه لاندفاع التيار وبلل الملابس والأمتعة ولكنه مع هذا يجد في ذلك لذة وشوقا إلى موسم الرطب الذي يمتد إلى ثلاثة شهور تقريبا .

❁ قرى السجيد

١ - المحصور : سكانها من البدو «العبوس» الذي سبق الحديث عنهم في فرسان . تقع جنوب غرب بلدة السجيد ويحكم قريها منها فاهل القريتين يشكلون وحدة واحدة في شؤون حياتهم المعيشية .

٢ - خُتَب : تبعد عن قرية السجيد ما يقرب من خمسة عشر كيلومترا وتقع على الساحل الشمالي الغربي لهذه الجزيرة . مياهها عذبة وبها مجموعة من أشجار النخيل . يشتغل أهلها بصيد اللؤلؤ والأسماك .

٣ - خوله : تقع شمال السجيد ولم تعد الآن مسكونة بعد هجرة أهلها منها وهي الآن عبارة عن أطلال .

٤ - أبوالطوق : أيضا في الشمال ، تسكنها عائلة «الشبيلي» التي منها الشاعر الشعبي المعروف لدى الفرسانين «حميد الشبيلي» وهذه العائلة كانت معروفة بالشراء وامتلاك العديد من السفن الشراعية أيام ازدهار تجارة اللؤلؤ .

ومن المتوقع أن تتحسن أحوال المسجد وقراها بعد بناء «الكوبري» الذي سيربط بينها وبين فرسان ويبلغ طوله ٦٥٠ متراً وسوف يبنى فوق الممر المائي الذي تحدثنا عنه .

جزيرة قُماح

تبعد عن فرسان نحو ستة كيلومترات بحراً وتقع في الجنوب الغربي منها ، ومن ناحيتها الشمالية والجنوبية تضيق المسافة بين الجزيرتين إلى كيلومتر واحد تقريباً ، عدد سكانها قليل لا يتجاوز مائتي نسمة مشكلتهم الرئيسية عدم توفر الماء العذب في جزيرتهم وقد كانوا قبل بناء محطة تحلية مياه فرسان يجلبون الماء من جيزان على بعد أكثر من ٧٥ كيلومتراً بواسطة قوارب الصيد ، وقد عرضت عليهم الدولة فكرة الانتقال من هذه الجزيرة بعد تعويضهم وبناء مساكن مناسبة لهم في أي مكان يختارونه في فرسان ولكنهم أبوا متمثلين بقول الشاعر العربي :

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الأرض التي لا هوى بها ولا مأوها عذبٌ ولكنها وطن

المهنة الرئيسية لأهلها حالياً صيد الأسماك ، وتعتبر محطة هامة تتجمع فيها سفن الصيد في الوقت الحاضر كما كانت تتجمع فيها سفن صيد اللؤلؤ قديماً . مساحتها أيضاً صغيرة إذ لا تزيد عن ٤×٣ كيلومترات مربعة . ولأهلها ارتباط وثيق بسكان جزيرة «بَكْلَان» اليمنية لقربهما من بعضهما كما أن بين أهل الجزيرتين قرابات في الدم والمصاهرة والتقاليد والعادات باقية حتى الآن .



الطيور المهاجرة

من العادات المشتركة بين سكان الجزيرتين احتفاء أهلها بقدوم الطيور المهاجرة سنوياً في شهري أبريل ومايو من كل عام، ففي هذين الشهرين تفد إلى هاتين الجزيرتين وما يجاورهما من الجزر الأخرى أعداد كبيرة من الطيور الجميلة القادمة من أماكن بعيدة على سطح الكرة الأرضية وخاصة من دول أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية. يؤكد ذلك وجود خواتم معدنية في أرجل بعضها نقشت عليها أسماء بعض الدول كالألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية، والاتحاد السوفيتي.

في موسم قدوم هذه الطيور يعود الغائبون من أسفارهم ليشاركوا ذوبهم هذه المناسبة المتميزة عندهم بألعاب شعبية خاصة وينشدون فيها أشعاراً رقيقة في تجمعات نسائية في بيوت العرائس، وتبدأ هذه الأفراح والرقصات بمجرد صيد أول طائر من النوع الذي يسمونه «الأكل» أو «الجرجوح» إذ يحمل أحدهم الطائر على إشارة بارزة ويتجمع حوله الناس ينقرون دفوفهم وطبولهم يغنون ويرقصون معلنين بداية الموسم الراقص، ومن أغانيهم البسيطة الشعبية:

| | |
|---------------------------------|------------------|
| أكل قال يعقوبي ^١ | شلوا بي وحطوا بي |
| في السطحة ^٢ تهنوا بي | ما اسوي بروحي |
| * * * | |
| أكل جيت لك عاني | قد تركت خلاني |
| وانت ما تهنيني | ما اسوي بروحي |

«١» يعقوبي : أي يا عقوبي وهو اسم لأحد الأشخاص

«٢» السطحة : مؤخرة السفينة الشراعية التي يجلس عليها الربان

وكلما ازدادت كثافة الطيور كلما ازدادت الأفراح ، وتتم عملية الصيد بنشر شباك السمك القديمة على أغصان الشجر- الذي لا يوجد في هذه الجزر والذي يركب فيها تركيباً أي يأتون بأغصان كبيرة بأوراقها وشوكها ويغرسونها في التربة - «طبعاً الأغصان تلك تؤخذ من فرسان الغنية بالأشجار» وبعد صيد كميات كبيرة من الطيور تذبح وتستخرج كميات من الدهن منها تجمع في قوارير وتقدم هدايا للأصدقاء والكميات الفائضة عن الحاجة تباع بأثمان تتناسب مع قيمة الموسم .

ومحظوظ جداً من يحصل على طائر حي «هدية» فإنه سيحتفظ به في قفص خاص مصنوع محلياً من سعف النخيل إلا أن هذه الطيور لا تعيش طويلاً بسبب إضرابها عن تناول أي نوع من أنواع الطعام ربما احتجاجاً على فقدانها حريتها .





بيت الجرمل

هذه الجزيرة لها موقع استراتيجي هام ، فهي تشرف على الممر الدولي للبحر الأحمر وعلى السفن العابرة من قناة السويس في الشمال إلى باب المندب في الجنوب وبالعكس . وقد استرعى هذا الموقع انتباه «الألمان» إبان «الحرب العالمية الأولى» فقاموا ببناء مستودع كبير لهم فيها يعتقد أنهم كانوا يهدفون من ورائه إلى توفير الذخيرة لسفنهم الحربية المتجولة في البحر الأحمر أثناء تلك الحرب . هذا البناء الكبير مازالت معظم بقاياه موجودة حتى الآن وهو عبارة عن بناء كبير تبلغ مساحته حوالي ٢٠×٥٠ متراً مربعاً يطلق عليه العامة من الناس اسم «بيت الجرمل» وهو تحريف لكلمة «Germany» الإنجليزية ومن المعتقد أنه بُني في أواخر تلك الحرب ، ويذكر المعاصرون لبنائه أن الألمان لم يكملوا بناءه وتركوه دون سقف ، ولا تزال آثار أقدام وأحذية العمال الذين بنوه واضحة على سطح سورهِ ، ولعل عدم إتمامه يعود إلى انتهاء الحرب سنة ١٩١٨م إذ بانتهائها انتهى الغرض الذي بُني من أجله .

وعلى الرغم من الجهد الهندسي المبذول فيه إلا أن كثيراً من أعمدته قد انهار بسبب عوامل التعرية والتآكل الناتج عن ذوبان الأملاح الموجودة في حجارته بنسبة عالية وإلى ارتفاع نسبة الرطوبة على الساحل .

وتمتاز سواحل جزيرة قماح بنوع خاص من الحيوانات البحرية يطلق عليها محلياً اسم «رخام» وهو قواقع صغيرة ناصعة البياض الحبة الواحدة منه أكبر من حبة الحنطة بقليل ، يتم صيده بواسطة أخشاب أو عيدان توضع على الشاطئ فتعلق بها حبات هذا الكائن ، وبعد أخذها وتجميعها تعرض للشمس عدة أيام حتى تجف المادة اللحمية الموجودة بداخلها وتنتهي الرائحة الكريهة الناتجة عن تحلل تلك المادة ، بعد ذلك تقوم النساء بثقب الحبات عن طريق حك رؤوسها على حجر ناعم الملمس ، وعندما يتجمع المقدار الكافي لدى صيادي هذا الكائن البحري يقومون بنظمه في خيوط رقيقة على شكل عقود ثم يصدر إلى أسواق البيع في الحبشة أو عدن ، وقد كسدت هذه المهنة صيداً وتجارة ولم تعد تمارس إلا كنوع من التسلية والاحتفاظ به للذكرى .



العادات

في فرسان

إن استقلالية فرسان من حيث الموقع والبيئة ووجود البحر كحاجز منيع بين مجتمعتها والمجتمعات الأخرى قد أوجد بين سكانها عادات وتقاليد وفنون شعبية لا توجد لدى الآخرين، وربما تكون موجودة ولكنها تتخذ طابعاً خاصاً عند الفرسانيين، من هذه العادات:

الشدة:

وهي مأخوذة من «شد الرحال» لأن حب التغيير طبيعة من طبائع الإنسان التي جبل عليها. وقضاء الصيف في أماكن تحفف من وطأته ظاهرة اجتماعية سائدة بين الكثير من سكان هذه الأرض، فإذا ما جاء الصيف بحره اللافح وشمسه المحرقة اشتد شوق الإنسان للنسمة العلية تجفف عرقه والظل الوارف يرتقي في أحضانه، ومن أجل ذلك تجده دائماً يبحث عن عوامل الراحة على السواحل الحاملة أو في الواحات الوارفة أو بجانب ينبوع المتدفق ولأن أهالي فرسان قديماً لا تمكنهم ظروفهم من الانتقال إلى أي مكان آخر بسبب إحاطة البحر بهم من ناحية، ولصعوبة الانتقال وبعد المصايف عنهم من ناحية أخرى بالإضافة إلى عوامل أخرى منها صعوبة المواصلات وضعف النواحي المادية، كل هذا دفعهم إلى أن يكتفوا بأنفسهم داخل جزيرتهم ويوجدوا لأنفسهم أماكن تتلاءم وحياة الصيف، فاتخذوا بعض القرى وبعض الجزر منتجعات يذهبون إليها للراحة والاستجمام فترة تمتد بامتداد الأيام التي تشتد فيها الهاجرة متمتعين بظلال النخيل وثمارها في كل من قريتي القصار والمحرق وجزيرة السجيد التي سبق الحديث عنها.

الشدة عند الفرسانيين لها طابع خاص ومراسيم خاصة فهي تبدأ من منتصف شهر مايو من كل عام تقريباً في جوشاعري وأمسيات تتقمص فيها السماء بالغيوم الموسمية ابتداء من بعد ظهر كل يوم إذ لا تخلو من أزيز خفيف للرعد وسقوط زخات خفيفة من حبات المطر.

في هذا الجو الشاعري اللطيف يحمل الفرسانيون أمتعتهم على ظهور الجمال وتبدأ قوافلها في المسير حاملة العديد من الأسر لتصل إلى المصيف عند غروب الشمس أو بعد الغروب.

العرائس والشدة

إذا كانت الأسرة التي ستشدد بها «عروس» فإن الأمر يتخذ شكلاً آخر. تتزين العروس بهذه المناسبة ويجتمع في منزلها العديداً من صديقاتها وجاراتها ينشدن أويغنين أغان خاصة بالحنان خاصة أيضاً تعرف بأغاني «الشُدود» بالبدال المهملة يؤلف كلماتها شعراء شعبيون يصفون فيها الجو الشاعري وساعة الخروج ومظاهر الوداع ومظاهر الاستقبال ومدى رزانة وتعقل الجمل الذي يحمل العروس كما في النموذج التالي للشاعر عبدالله عمر مفتاح :

| | |
|--|--|
| يقول بوعمر أجاني قمري اليمانية ^(١) | قليّ ابني نشايد وأنا عندي ردودها |
| وأرباب المليح كروا ^(٢) له أعياس ^(٣) ثمانية | حَطّوا عَصْبَة السُّديره ^(٤) وارخو قيودها |
| معا مفرق الطريقين قال أسمعونيّه | يا أصحاب الجمال هذي الرّميه ^(٥) وجودها |
| وفي وقت الدخول تلقوا له بالمجانية ^(٦) | في الديرة الذي هوّيه زايد برودها |
| وفاح الصندلي مع العودي في المكانيه | ليلة ما وصل كم ناس حرّم رقودها |

ويؤرق هذا الموسم الشاعر عبدالله محمد عبدالله علي وهو في غربته في مدينة جدة فيسطر حنيه في هذه المقطوعة التي تغنى بها في رقصة «الدانه» :

| | |
|---|---|
| يقول خو علي هذي مواعييده | حتم النخل والمجنى ولعب الدان |
| والقمري الذي يومي تغاريده | يردد بها فوق عالي اللّغصان ^(٧) |
| يغنى غنى ^(٨) الفرحان في عيده | الي ارتاح قلبه يوم لقي الخلان |

(١) اليمانية : قرية القصار لوقوعها جنوب فرسان

(٢) كروا : أجروا

(٣) أعياس : جمع عيس وهي الجمال

(٤) السديره : الجمل الأول في القافلة

(٥) الرمية : سيأتي ذكرها وتعريفها

(٦) المجانية : الزناويل التي يجنى فيها الرطب

(٧) اللغصان : الأغصان

(٨) غنى : غناء

ودمعي سأل وقلبي زاد تنهيدة على الي هزهم الشوق لِلْوَطَان^(١)
ذا سافر وذاك التذكّره في ايده وهذا حملوا عفشه على الميزان
ويارب كل واحد للوطن عيده^(٢) وخلّ الشمل يرجع مثلما قد كان

ومن المظاهر التي تحدث عندما تنقل العروس إلى المصيف أنها تحمل مع رفيقة لها ممثلة لها في السن على جمل تعلق على قوائمه الأمامية أجراس صغيرة يسمونها «الجروز» تحدث أنغاماً منتظمة كلما تبخر الجمل في مشيته، وعلى رأس الجمل توضع «العَصْبَة» وهي قطعة من القماش المطرز بالخرز والفصوص الملونة اللامعة، يوضع لها إطار من الرخام - الذي تحدثنا عنه - وعند بدء السير يكون هذا الجمل في المقدمة تتبعه بقية الجمال المحملة ببقية أفراد العائلة والأمتعة .

وأصحاب الجمال محظوظون هذا اليوم لأن أجورهم مرتفعة ولأنهم سيحصلون على «الرّمية» والرمية عبارة عن كميات من الحلويات و«المشْبُك» (حلوى مصنوعة محلياً) والمعلبات والبسكويت، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تُرمى لأصحاب الجمال في الطريق في مكان به تكوينات جبلية ناعمة الملمس، ويترك النصيب الأوفر للأقوى منهم عندما ينقضون عليها في حرب مرحة واشتباكات ضاحكة يحصل فيها كل واحد على نصيبه حسب جهده المبذول . وبمثل ما تودع به العروس من حفاوة في فرسان تستقبل في المنتجع الذي وصلت إليه .

والأطفال في مناطق النخيل لهم ذكريات لطيفة في هذا الموسم فعندما يستوي الرطب - وعادة ما يكون ذلك في أيام تشتد فيها رياح الصيف الشمالية - تجد كلاً منهم قد حمل زنبيله الصغير «يَتَسَقَطُ» ما تجود به النخيل المتمايلة وقت الهاجرة، وقد يغلب الشقاء على بعضهم - عندما يخونه الحظ - فيصعد نخلة لا يملكها ليعوض ما فاتته «والويل له إن رآه ملقح النخلة «مؤبرها» عندئذ قد يسقط الطفل نفسه من منتصف النخلة وتتحول تلك الظهيرة إلى مطاردات وعلقات ساخنة تصبح فيما بعد ذكريات ذات شجون في الكبر لأنها شيطانات بريئة . وفي هذه الشيطانات يتغنى الشاعر عبدالمحسن يوسف - أحد شعراء فرسان الشبان - ويسجل انطباعاته عن «زنبيل السَّقْطه» في القطعة الشعرية هذه :

(١) للوطن : للأوطان

(٢) عيده : أعده

كم ترى الأطفال في عز الظهيرة
ينهلون الظل ممزوجاً بأنفاس الهجيرة
والزنابيل بأيديهم زنابيل صغيرة
والرياح الهوج تمنحهم غباراً وتثيره
فيغنون أناشيداً وآهات كثيرة
يجمعون الرطب الملقى بأرواح صبورة
إنما الماضي مثير والطفولات أثيره

والفرساني بوجه عام إنسان عاطفي وشديد الارتباط بجزيرته لذلك تجده عندما يغترب
عنها يرسل شجونه وآهاته مشحونة بألم الغربة فيترجمه حنيناً وشوقاً وأمنيات للعودة . هذا أحد
أبنائها «علي محمد صيقل» يقول :

عندما كنت في مدينة «الطائف» شدني الحنين إلى فرسان تلك الجزيرة الحاملة حبيتي
ومسقط رأسي فرحت أعبر عن حنيني بهذه الأبيات :

فرسان يا حبيبي يا أمي الحنون
إليك يا جزيرتي تحية من العيون

* * *

يا همسة . . يا بسمه . . يا وترأعلى فمي
يا نغمة في أضلعي أحسها وفي دمي

* * *

يا رقة تذيبني بطرفها الكحيل
يا فتنة يا روعة أهلها عند الأصيل

* * *

أحن يا جزيرتي إلى مجالس السمر
أتوق يا جميلي إلى ابتسامة القمر

* * *

فكم حلمت أنني بشاطئ القرى^(١)
وكم رأيت زورقاً مدله الشراع قد سرى

* * *

وعندما أفقت لم أجد سوى صغيرتي
تقول يا أبي أود أن أرى جزيرتي

* * *

مشتاقاً تواقاً لظلها الظليل
لمائها . . لشمسها أمواج ثغرها الجميل

* * *

لإخوتي الصغار . . إنهم أحبتي
لصبية بدونهم لا أستسيغ لعبتي

* * *

متى نعود ننهل الصفاء من ضيائها
متى نعود نفعم الفؤاد من روائها

* * *

متى نعود إنها أنشودة وأغنية؟
متى نعود إنها ترنيمة وأمنية؟

ولو أضفت إلى هذه المقطوعة ما تغنى به شعراء فرسان الشعبيون لاستغرق مني صفحات كثيرة ولعل صاحب هذه المقطوعة يقوم الآن بجمع ذلك التراث ليصدره في مؤلف خاص . ولعله من المناسب هنا أن أورد بعض خواطري عن البحر في مقطوعة شعرية كتبها تحت عنوان «مناجاة على الشاطئ»

يا مياه البحر غنَّ غنَّ فالشط معنَّ
همسات الموج لحن فيك يا بحر تغنَّ

* * *

«١» القرى : اسم شاطئ في فرسان

امنح الشاطئ عطفاً امنح الشاطئ قبلة
أعطنا حباً وناج كل عين كل مقله
* * *

هذه الشطآن مهدي وعليها كنت ألعب
يرقص الموج عليها وأنا أشدو وأطرب
* * *

كم عشقت الشمس إشراقاً وناجيت الغروباً
ورنا طرفي هياماً فيك يا بحر وذا بيا
* * *

جُن في حبك شوقي وتسامى فيك حبي
ونما فيك حناني وهفا نحوك قلبي
* * *

هذه الشطآن كانت مرتعى منذ الطفولة
هذه الخلجان باتت حضن أحلامي الجميلة
* * *

ليت روعي فيك تغدو موجة تنساب حُرّة
ليتني يا بحر أمسي منك في الآفاق قطرة
* * *

كم تغنيت على الشط وناجيت الشراعا
لم يزدني ذاك إلا فيك حباً والتياعا
* * *

فاعطنا يا بحر حباً تزدهي فيه الأماني
واعطنا يا بحر فيضاً للمنى يهدي الأماني
* * *

هذه قطرات من بحر مما كتبه الفرسانيون عن جزيرتهم ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن لجو هذه الجزر نكهة خاصة ترتاح نفوس أبنائها إليها ، ولعل هذه العدوى تنتقل إلى نفوس قرائنا الأعزاء .

موسم سمك الحريد

أظنني أشرت في موضع سابق من كتابي هذا إلى أن الظروف البيئية الخاصة بسكان هذه الجزر قد جعلتهم يستغلون ما يجود به البحر عليهم من خيرات سواء في معيشتهم أو في مناسباتهم التي يرفهون بها عن أنفسهم، ومن أشهر هذه المناسبات مناسبة «موسم الحريد»، وقد يسأل سائل: ما هو الحريد؟ وفي اعتقادي أنه اسم معروف لدى سكان السواحل لنوع من الأسماك الوديدة تعرف لدى سكان الحجاز - وخاصة جدة باسم «الماشي» والاسم العلمي له هو «البلطي». هذا النوع من الأسماك يحتفل سكان جزيرة فرسان بقدومه السنوي كما يحتفل سكان جزيرة قباح بقدوم الطيور المهاجرة لأن هذه الأسماك - في أغلب الظن - مهاجرة أيضاً و قدومها يتزامن مع قدوم الطيور فكلها تأتي في شهري أبريل ومايو من كل عام.

هذا السمك لا يظهر في كل السواحل المحيطة بفرسان ولكنه عادة ما يظهر في الشواطئ ذات المياه الضحلة الهادئة، وهو هنا يخرج في مكان يدعى ساحل «القبر». ولا يوجد أي تعليل في اختياره هذا المكان سوى أنه يريد تأمين الحماية لنفسه أثناء عملية التكاثر بعيداً عن الحيتان الكبيرة المفترسة وبعيداً عن هياج الأمواج التي قد تعكر عليه هدوءه وتعطل عليه الممارسة الطبيعية التي يتم بها تكاثره. من هذا المنطلق فهو يأتي إلى مكان أمين تحميه وتحيط به الجبال وأشجار الشورى البحرية. الجبال على هذا الساحل تكوينها الطبيعي على شكل مظاهرات ترتفع عن أرض الساحل من مترين إلى ثلاثة أمتار فالبحر هنا منخفض عن اليابسة وهذا هو السبب الذي يجعل هذا المكان قليل التأثير بهبوب الرياح، كما أن عدم العمق هنا لا يسمح بوجود أمواج كبيرة، وبسبب هذين العاملين تتوفر الحماية المطلوبة للتزاوج والتفريخ.

ومن الغريب جداً أن هذا السمك لا يظهر إلا فترة واحدة من كل عام. هذه الفترة تمتد من ثلاثة إلى سبعة أيام تبدأ من صباح اليوم الخامس عشر أو السادس عشر من الشهر القمري وتمتد حتى العشرين أو الثاني والعشرين منه. فإذا ظهر في شهر جمادى الثانية مثلاً فإن

ظهوره في هذا الشهر يستمر ثلاثة أعوام أما في السنة الرابعة فسوف يظهر في شهر رجب . أما بالنسبة للسنة الميلادية فظهوره يتم في الفترة الواقعة بين شهرى أبريل ومايو كما سبق ، وظهوره يكون في الصباح ومن النادر جداً خروجه إلى الشاطئ بعد الظهر.

آراء الأقدمين فيه

كما ذهب الأقدمون بعيداً في تفسير ظاهرة «المغوي» ذهبوا بعيداً أيضاً في تفسير ظاهرة خروج هذا السمك في زمن معين ومكان معين - وهكذا الإنسان يلجأ إلى الخيال دائماً عندما تعجزه البراهين العلمية - لقد ذهب الأقدمون في تعليلاتهم إلى أن هذه الأسماك قادمة من بلاد الهند وأن أسماكاً أخرى تختلف عن الحريد تظهر عند الهنود في نفس الموسم تهديها شواطئ البحر الأحمر إلى الشواطئ الهندية مقابل ما تهديه شواطئ تلك البلاد إلى سكان هذه الجزر، ولعل هذا القول مع ما فيه من بعد عن الواقع المرئي يحتوي على شيء من الواقع العلمي ، إذ لا يستبعد أن تكون هذه الأسماك قادمة من المحيط الهندي أثناء هجرتها بحثاً عن المناخ الملائم في المياه الدافئة ، وأظنني محق إن وجهت الدعوة إلى أصحاب الاختصاص في بلادنا من جامعات وغيرها في أن يوجهوا عنايتهم واهتمامهم إلى دراسة هذه الظواهر ومتابعتها فهي جديرة بالاهتمام .

سمك وتربية حمير

في بداية الشهر القمري الذي سيظهر فيه الحريد - أوقبله بأيام - تبدأ الاستعدادات لاستقباله ، وقبل وجود السيارات كان الشبان يعتنون بتربية الدُّلُّ «الجمال» التي يمتطونها في الذهاب إلى منطقة الحريد والغالبية من هؤلاء الشبان يركزون عنايتهم على تربية «الحمير» ويقومون بتغذيتها تغذية جيدة ويصنعون لها العصائب المزركشة لوضعها على رؤوسها كما تعلق في أعناقها أجراس صغيرة تبعث أنغاماً موسيقية أثناء الركض لأن ساعة العودة ستتحول إلى سباق بين هؤلاء الشباب كل واحد يريد أن يكون الأول في الوصول ليزف البشرى إلى البلدة بظهور السمك وكدليل على ذلك يرفع يديه وفي كل منها سمكة كبرهان على صحة ما يقول .

تبدأ المسيرة التي يشترك فيها كل الفرسانين تقريباً من الرجال والشباب والصبيان بعد صلاة الفجر ليصلوا إلى منطقة ظهور الحريد عند طلوع الشمس أو قبلها بقليل، وهناك يتوزعون على المنطقة التي يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلومترات على شكل مجموعات صغيرة تتحول كلها إلى عيون مراقبة للبحر، وأول عمل يبدأون به هو تناول طعام الفطور، والفطور لا بد أن يكون الكَيْن «النبق» عنصر أساسي فيه - لأن موسم الحريد واستواء النبق يكونان في وقت واحد - بالإضافة إلى الخبز والبسكويت والحلويات كما يصنع الشاي على الحطب - قبل وجود السخانات «الثيرموس» - فإذا ما ظهرت أول قطعة من قطعان السمك - ويسمونها «سواد» - لدى أفراد أي مجموعة فإنهم يصيحون «أدوال» «أدوال» وكلمة أدوال معناها «الشباك» أي اسعفونا بالشباك، وحينئذ يسرع المختصون - وأغلبهم من صيادي السمك المعروفين - جرياً بالنزول إلى البحر ناشرين شباكهم للإحاطة بالسواد الذي ظهر، فإذا ظهر سواد آخر تكررت العملية، وإذا تم كل ذلك بنجاح عمت الفرحة العارمة الجميع وتعالصيححاتهم وزغاريدهم ابتهاجاً بذلك، وبدأ الصيادون يقتربون بالسمك إلى الشاطئ إلى عمق نصف متر تقريباً. عندئذ تبدأ مجموعات الحريد بالاضطراب بسبب استشعارها قرب الشاطئ منها، لكنهم يضاعفون له الشباك ويتركون ثلاثة أو أربعة أشخاص من أهل الخبرة يقومون بمراقبته.

وحتى لا تتعرض هذه الشباك للتمزيق أثناء انقضااض الناس فإنهم يلجأون إلى جمع أكوام من شجرينبت بالقرب من الساحل يسمى «الكسب»، وبعد توفر الكمية اللازمة يتم اختيار مجموعة من الموثوق بهم ليقوموا بنقل ذلك الشجر لبناء حائط حول السمك بدلاً من الشباك التي يتم سحبها نهائياً، ومع بداية بناء ذلك الحائط يبدأ العد التنازلي للانطلاق ويبدأ مع ذلك توتر الأعصاب لدى الكل وما يكاد يتم تسوير السمك حتى يصيح العريف - الذي تم اختياره - قائلاً «الضويني» وهي كلمة يعرف معناها الجميع وتعني «إهجموا يا ناس»

وهذه هي أجمل دقائق في هذه المناسبة فهي دقائق مغرية حتى لمن يأتي بقصد المشاهدة والاستمتاع لأنه قد ينسى نفسه ساعة الاندفاع ويجد نفسه بين القوم يجمع السمك في ثيابه إن لم يكن مستعداً بكيس خاص كأولئك الذين أتوا إليه عن قصد.

والأكياس التي يجمع فيها الحريد تتركب في أفواهاها إطارات مصنوعة من عيدان الشجر تشبه عجلات الدراجة العادية ليسهل بواسطتها جمع أكبر كمية من السمك.

بعد الانتهاء من كل هذه الأشياء يبدأ الناس في الخروج إلى الشاطئ، ويقوم معظمهم بحصر الكمية التي حصل عليها، وكم تكون فرحة الشخص كبيرة عندما يكون عدد سمكه كثيراً لأن معنى ذلك أنه سيستطيع الإهداء إلى أكبر مجموعة من أصدقائه ومعارفه .
والهدية من الحريد في يومه الأول تعتبر ذات قيمة كبيرة وبرهان على عمق العلاقة الطيبة بين المهدى والمُهدى إليه .

الحريد والعرايس

من المظاهر المألوفة في هذا الموسم إقامة الاحتفالات الشعبية في بيوت العرائس من النساء اللاتي تم زواجهن في نفس العام - أي أن يكون هذا الموسم هو الأول في عمر الزواج - وتتخذ هذه الأفراح طابعاً خاصاً حيث تجتمع النساء في بيت العروس عصر كل يوم ابتداء من اليوم العاشر في الشهر الذي يصادف فيه خروج الحريد . وبهذه المناسبة يقوم الشعراء الشعبيون أيضاً بنظم شعري تغني به النساء في بيوت العرائس . تتميز كلمات هذه المناسبة بسهولة أداء ولحناً مما يسهل حفظها والتغني بها :

بواحمد يقول ذي السنة وقته عجل
حَنَّ الكف يا مهرُكُلْ^(١)
الوجه مثل القمر وسط المحفل
زان الطرف لا تكحل
لويق^(٢) واللي يجي قبالة^(٣) يججل
على الهون يا محجل

وشاعر آخر يقول :

قال المغنى الحريد وقته جاني^(٤)

يا زين هات لي المعاني

(١) مهر كل : رائع الأرداف

(٢) لويق : من اللياقة

(٣) قبالة : أمامه

(٤) جاني : أتى إليّ

حَسَبْتُ لَهُ ذَا الشَّهَرُ وَقَالُوا الثَّانِي

وَحْي^(١) الْغَيْدِ قَدْ شَجَانِي

بِالْهَ عَلِيكَ يَا حَرِيدَ لَا تَنْسَانِي

يَكْفِينِي الَّذِي أَعَانِي

وعلى هذا المنوال الرقيق والشاعرية المرفهة ينظم العديد من الشعراء أشجانهم وآهاتهم، وتستمر هذه المظاهر حتى آخر يوم من أيام الحريد، والعروس طوال هذه الأيام متزينة ومميزة بملابس تميزها عن غيرها من النساء، ولأن هذه المناسبة تتوافق - في العادة - مع موسم طلع النخل فقد كان الأقدمون يأخذون عراجين البلح الذي لم ينضج بعد ويضيفونه إلى الزينة الموضوعة على رأس العروس.



(١) وحْي : صوت

الترات والرقص

لا أدري إن كان القارىء يشاطرنى الرأي أم لا فى أن سكان السواحل تغلب عليهم دائماً رقة المشاعر ولين الطباع ، وإذا كان القارىء يشاطرنى ذلك فلعله أيضاً يقبل تعليلى بأن هذا يعود إلى البيئة الطبيعية المرتبطة بالبحر وجماله ، بل ولعله عائد أيضاً إلى الصلات الوثيقة والعلاقات المتينة التى تنشأ عن ارتباط سكان السواحل ببعضهم خاصة عندما تدفعهم هذه السواحل إلى أعماقها فى أسفار جماعية على ظهور السفن بحثاً عن مصادر الرزق ولقمة العيش طلباً للتجارة أو جرياً وراء اللؤلؤ وحاصلات البحر الأخرى .

هذه الأسفار وما يصاحبها من مشقات وحرمان وبعد عن الأهل والوطن كان لها الأثر الكبير فى أن تكون هذه الجزر غنية بترائها ، وفنونها الشعبية ، وبالعديد من الرقصات والألحان بعضها من النوع السائد فى منطقة جيزان ومنطقة عسير كرقصات «الزيفه» و«العرضه» و«السيفي» و«الدُّلع» وبعضها فن مستقل وخاص بالفرسانيين فقط ، ولن أتعرض هنا للألعاب المشتركة التى أشبعت بحثاً وكتابة من قبل أدباء ومؤلفي منطقة جيزان ومن بينهم صاحب المخلاف السليماني والأدب الشعبي فى الجنوب ولكنني سأعرض بعض النماذج المستقلة للفنون الفرسانية البحتة مثل لعبة «الدانة» و«الغناء المجالسي» وغيرهما .

الدانة

وهي لعبة جماعية تتميز بإيقاعها العنيف وسهولة أدائها لحناً ورقصاً، وألحانها قد تصل إلى ثمانية أنواع والأغنية الواحدة تتكون من مقطعين كل مقطع ثلاثة أبيات يغني الشاعر المقطع الأول لكي يحفظه المشتركون في الرقصة ويرددونه أثناء أدائها، أما المقطع الثاني فيرده الشاعر فقط بعد سكوت اللاعبين :

يقول أبو أحمد عقيلي مربي الزين ماشي
على تمهل ينقل قادمة^(١) بالبنانه^(٢)
خلقه تعظم وله قامه كما غصن ناشي
ياليث واليه يخليه يوم عندي أمانه
أوصاف وجهه كدورة^(٣) من خيار القماش^(٤)
والا كما شهر^(٥) في المنصف مقدم وهانه^(٦)
عين^(٧) لحكمه طاع له كل عاصي
وكم يا قلب قاسي لئنه^(٨) كاللبانه

«١» قادمة : أي قدمه ومدت لضرورة اللحن

«٢» البنانة : الأصبع وهي مأخوذة من البنان وأنتها الشاعر لتستوي القافية

«٣» الدورة : اللؤلؤة الثمينة

«٤» القماش : اللؤلؤ

«٥» شهر : القمر في المنتصف

«٦» وهانه : ضياءه

«٧» عين : انظر

«٨» لئنه : جعله لئنا .

وأنا صدفني^(١) المليح ناشر^(٢) مع العصر ماسي
بوجعد^(٣) كاسي^(٤) وله حُفَّه^(٥) رديمه^(٦) ملانه
إن قلت له اخطر سنانا^(٧) قال أنا أتبع خلاصي
أمشي على كيف راسي ما أتبع أهل الخيانه

وهذه مقطوعة تختلف وزناً وقافية للشاعر: عبدالله محمد عبدالله علي .

قال أخو أحمد سقى الله يوم ما كنا
نجا في المودة والذي فيها
ولا نفتكر في الي يهاجرنا في الدنيا من أولها وتاليها
الي صبحوا بالمر يسقُنَّا والكاسات بأيدينا نمليها
ألا يا مليح يا حالي^(٨) الوجنا^(٩)
يالي عكرتك^(١٠) ليلى^(١١) تعضيها^(١٢)
اشفق بالذي في هويتك مضنى كم يا احوال من أجلك يقاسيها
يا راعي جبين كالبدر لا دنا^(١٣)
ليلة نص^(١٤) والنجم^(١٥) غاشيها^(١٦)

-
- (١) صدفني : صادفني
(٢) ناشر : خارج وقت العصر
(٣) الجعد : الشعر مدلى من الخلف
(٤) كاسي : يغطي أردافه كالكساء
(٥) الحُفَّه : الشعر من ناحية مفرقه
(٦) رديمه : مردومة بالطيب
(٧) سنانا : إلينا
(٨) يا حالي : يا حلو
(٩) الوجنا : الوجنات
(١٠) عكرتك : شعرك الملفوف
(١١) ليلى : كل ليلة
(١٢) تعضيها : تصففها
(١٣) دنا : صار في منتصف السماء
(١٤) ليلة نص : منتصف الشهر
(١٥) النجم : النجوم
(١٦) غاشيها : قاهرها بضوئه

وفي لحن آخر يتغنى الشاعر عبد الله عمر مفتاح :

بو عمر قال عتب^(١) الصففر^(٢) جاني

والمغيبة^(٣) تخرج كل بحر^(٤)

| | |
|--|--|
| كل من ^(٥) قال فارقت المكاني كنت لا غبت ما تمضي ثمان وإن عزمت السفر أخرت عاني ^(٧) وما الذي قنعك عن الغواني تبّتْ والا تغير بك زمان قلت محبوب قلبي قد جفاني علموه الجفا حتى احزنوني وإن تعديت ^(١١) كأنه ما يراني دامت الصففر في الهوى اغبنوني | وأربعة أحوال تحسبها بسفره والمخبر يقول في راس عبره ^(٦) كل يومي تقول العزم بكره لا قديهم ^(٨) على حنا وعكره فرج العين واتهنى بنظره قاطع الوصف في برهه ^(٩) ونشره ^(١٠) وانا مالي عليه ياناس قدره هرجته غصب يخرجها بحمرة ^(١٢) كان ^(١٣) يا قلب ترك كل صفرا |
|--|--|

ويتغنى الشاعر محمد عمر مفتاح في لحن يختلف عن سابقه :

| | |
|---|--|
| يقول خوعي تركت من طرقة الهوى وفاهم شروط الستة الي تقع سوا وشاترك الي سيرته تجلب الغوى | محافظ فروضي الخمسة الي عليّه كتبها على الإنسان عنده وصية ومن تاب مأواه لجنة رضية |
|---|--|

(١) عتب : عتاب

(٢) الصففر : ذوات اللون القمحي

(٣) المغيبة : الغياب

(٤) كل بحر : كل كلمة جارية

(٥) كل من قال : كل واحد قال

(٦) راس عبره : اسم ساحل في فرسان

(٧) عاني : عن قصد

(٨) لا قديهم : إذا صاروا

(٩) برهه : تبكير في الصباح

(١٠) نشره : التمشي عصرا

(١١) إن تعديت : إذا مررت به

(١٢) بحمرة : بغضب

(١٣) كان : كفى يا قلب

فيرد عليه أخوه عبدالله ليكمل له المقطع الثاني من الأغنية :

| | |
|--|--|
| تشوقني الدانة إذا صرعها ^(١) استوى | وتاجي على روقة ^(٢) وروحي خليه |
| ولا قد سمعت الدور في مطلعته التوى | يهيج لي أكواني ^(٣) الذي داخله |
| وياخو علي البيض هرجاتهم دوا | ومن حبهم لمُوا ^(٤) عليه بالحجيه |

وهذا الشاعر عمر عيسى حسن يشرح حاله مع محبوبه :

| | |
|---|------------------------------|
| بواحد يقول يا حالي الوضع | يا نسل الجميل يا فرع من وافي |
| يا ذهب العرب لك عزّولك رفعه | تقديركم عندي ظاهر وشي خافي |
| أهلك خلفوا لي في الحشا وجّعه ^(٥) | يمضي الشهر ما يوم متعافي |

هذه نماذج بسيطة من أغاني رقصة الدانة التي تنفرد بها فرسان



(١) صرعها : غناؤها

(٢) روقه : راحة بال

(٣) أكواني : جروحي

(٤) لمُوا عليه : غطوه

(٥) وجّعه : ألم

المجالسي

هذا النوع من الغناء الفرساني اسمه يدل عليه فهو خاص بالمجالس لأنه يقتصر على الغناء فقط وليس فيه رقص لأن ألحانه لم تكن خفيفة كألحان الدانة وفيه يقول الشاعر عمر عيسى حسن :

| | |
|--------------------------------|--|
| بو احمد يقول كم ذا الجفا | كم ذا التجنب والمقافا ^(١) ؟ |
| كان المعزة والصففا | راحت معا عاضي ^(٢) دلالة |
| يحق لأبكيته خفا ^(٣) | أبكي بدمعه ما تكافي ^(٤) |
| لازم على عهد الوفا | حتى ارتحل عني جماله |
| مكنون وولعه في الحشا | كالنار مولوعه تواشى ^(٥) |
| والي بقلبي ما انتسى | الله المجير من فعاله |

* * *

| | |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| وعاد فيه كل العسى ^(٦) | ما راح عن بالي التّعى ^(٧) |
| شاهب لروحي ما تشا | قادر على ما اشأ أناله |

* * *

(١) المقافا : الهجران

(٢) عاضي دلالة : مطيب شعره المحبوك المرسل على أردافه

(٣) خفا : سر

(٤) ما تكافي : لا تكف عن السيلان

(٥) تواشى : تلهب

(٦) العسى : الأمل

(٧) التّعى : الأمل

لاهل الجميل عندي كفا
كم ما تغبى واختفى
وان طاعني حالي الشفا^(١)
والى مضى بيننا كفى

لي يوالفني وينسى
يبقى على يدى زواله
ياجي انتسامح وانتعاف
ما عادني اقول فيه مقال

* * *

وان يوم خلي هفا
في كل صبحي والمسا

أبات كالعود الموشى^(٢)
باب الجميل ما اغلق قفاله



(١) الشفا : الشفاء
(٢) الموشى : الملتهب

التدريه^(١)

يقال عادة في فرسان: فلانة تُدرّ بابنها، والواقع أنه فيما بين يديّ من مراجع لغوية لم أجد لهذه الكلمة معنى يتناسب مع ما تعنيه هنا، فهذه الكلمة تعني لدى الفرسانيين نوعاً من ألحان الشوق والحنين إلى الغائبين، وخاصة أولئك الذين طال بهم السفر في البحر بحثاً عن اللؤلؤ. وهذا التدريه تتغنّى به المرأة في نغم شجي عند القيلولة وعندما يهزها الشوق والحنين لأبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها الذي طال به السفر وغالباً ما تنهمر دموعها وهي تشدو وقت الظهيرة بمثل هذه الكلمات خاصة إذا حانت أيام الشدة وتحميل الجمال إلى المصايف وبدء جني الرطب من النخيل وحبيب القلب غير موجود. عندئذ ستتردد هذه الألحان الشجية من كل بيت له في البحر غائب:

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| والي بيادوه ^(٢) | والي بسيدي |
| حان الوقت ^(٣) حان | تحميل وشدان |
| والبادرة ^(٤) زان | والي بيادوه |
| درهت ظهري ^(٥) | من ضيق صدري |
| من غيبة أهلي | والي بيادوه |
| فين بك اليوم | في الحر والحوم ^(٦) |
| في ظلة الدوم | والي بيادوه |
| درهت ما اقول | بصافي اللول |

(١) كلمة محلية تعني أغاني الشوق والحنين إلى الغائبين

(٢) بيادوه : لم أجد لها معنى ولعلها استهلال متفق عليه

(٣) الوقت : بقلقلة القاف

(٤) البادره : أول رطب ينضج

(٥) ظهري : وقت الظهر

(٦) الحوم : التعب الشديد

| | | |
|------------------------------|------|-------------------------------|
| بيادوه | والي | بسيّف مسلّول |
| من هُوَ معايه؟ | | واعني رِكاَيَه ^(١) |
| بيادوه | والي | يحمي حمايه |
| ما يدخله شوق ^(٢) | | ربّان بلا ذوق |
| بيادوه | والي | من أجل ابوطوق |
| يا من شلاه ^(٤) دم | | قلبي مسمسم ^(٣) |
| بيادوه | والي | يا رب ترحم |

وكما تتغنى المرأة في بيتها تحت وطأة الشوق ولظى الحنين تجد الرجل لا يقل لوعة ورغبة في العودة من هذا البحر الذي تتقاذفه أمواجه وليس أمامه إلا أن يتغلب على هذه القسوة ويصارع الأمواج بمجدافه في قاربه الصغير مردداً قول الشاعر:

والمغني يقول ما ادري بذا ويش يُقَلِّي^(٥)
أبوالجعيد^(٦) المدلي سابه فوق عكانه^(٧)
باهي الخد يوم اذكر فعاله تسلي
وجه له شهر متجلي مقدّم وهانه^(٨)
روّحوا بي خُتَب^(٩) لا هبّ فوج المجلي^(١٠)
وارحموا الي من أول تاه أول زمانه

(١) ركايه : الذي استند عليه

(٢) تعبير عن الغضب على رئيس السفينة الذي لا يريد العودة

(٣) مسمسم : مسموم

(٤) شلاه : شرطه بالموسى

(٥) يقلي : يقول لي

(٦) الجعيد : الشعر المدلي

(٧) عكانه : خاصرته

(٨) وهانه : ضياؤه

(٩) ختب : قرية سبق تعريفها

(١٠) فوج المجلي : ربح الشمال

نا^(١) عليّه سَنَد^(٢) للخل غلقت حلّي
والذي قد كفل ما اخسّره في ضمانه

وكلمها شده الحنين وقست عليه الغربية ردد:

أبو الكفوف المجنّي ما الي فرّق بيننا؟
الناس شامتحنّا بالكلام في القفا
وابو احمد على راس المجنّي^(٣) وشربته في الونّا^(٤)
غريتني واحسبك شاتهرج معي بالصفّا

ثم هو يظل منشداً كلمها أرهقه المجداف
قال ابو احمد أنا شفت قافله
محبوبي مع العيس لولي
يوم قالوا حمامه مسافره
قد بطّلت لا ابتاع ولا اشترى

والشاعر أحمد بن سعيد أبوهبيرة وهو من شعراء البدو في فرسان عمره يزيد على الثمانين عاماً يحكي قصته الآتية. يقول الشاعر أبوهبيرة: كنت في يوم من الأيام جالساً أتأمل فيما صرت إليه من كبر في السن وعلة في الجسم وإذا بفاتنتين قد أتتا تحتكمان إليّ وتريدان أن أحكم بينهما أيهما الأجل، وكان ذلك من منطلق أنني أصبحت في سن لا تسمح لي بالتحيز لأي منهما، وعندما امتنعت أصرتا علي، وأقسمتا بأن أحكم بينهما فكانت هذه القصيدة:

(١) نا : أنا

(٢) سند : وثيقة

(٣) المجنّي : لعله اسم مكان

(٤) الونّا : الإناء

يا هاجسي رد لي القول في هذا وهذا
هذاك نجم السعد والنور مزهي به لهذا
احترت ما بينهم ساعة يقول القلب هذاك
ويوم افتكر في المعاني يا عرب آقول هذا
الفضه الناقية الي زهاها النقش هذاك
والمشخس الي مغطس بالذهب آشوف هذا
أقدام ترفات^(١) مثل القطن وسَمَح الوجه هذاك
العنق عنق الطبا وعيون مرموشة لهذا
الأنف مثل القلم وسنون مثل اللول هذاك
وبعشران^(٢) الشفا والشَّيح والريحان هذا
والفل والكاديه والعطر أبو «هَنَدَه» لهذا
يزهي نهار المحاضر باللبوس آشوف هذا
جوني تداعون^(٣) ما بيناتهم هذا وهذا
قالوا لي احكم ولا تطمع بذاك ولا بهذا
وقلت هاتوا وصفكم والكفيل قالوا رضيناك
قَفُّوا وأنا اقْفَيْتُ واللَّعيان توصف لي بهذا
القلب عيًّا يطيع يقول كل الزود هذاك
احترت ما بينهم واخاف من شرهات هذا
والروح ما أرضى بها المشروه مع هذا وهذا
هذاك نجم السعد والنور فض الصبح هذا
وبارسل جوابي لابن عسَّاف^(٤) في بر العجم ذاك
ويفيدني بعد انا مختار في هذا وهذا

(١) ترفات : مترفه

(٢) نبات عطري تشتهر به جيزان

(٣) يتداعون أو يتحاكمون

(٤) شاعر معروف في البر الأفريقي على الساحل الغربي للبحر الأحمر

واختتم كلامي بذكر الله ياقي^(١) ذا وهذاك
ومحمد المصطفى المعصوم يا هذا وهذا
ويقول أبوهبيرة أن الشاعر ابن عساف قد حكم ورجح كفة «هذا» على «هذاك» من
واقع ثلاثة أبيات هي :

الفضة الناقية اللي زهاها النقش هذاك
المشخس اللي مغطس بالذهب آشوف هذا
وطبعاً الذهب أثمن من الفضة . أما الثاني فهو:
والفل والكاديه والعطر أبوهنده لهادك
يزهى نهار المحاضر باللبوس آشوف هذا
وما دام «هذا» هو الزاهي في المجلس فهو الأجل، والببيت الآخر:
والروح ما ارضى بها المشروه مع هذا وهذاك
هذاك نجم السعد والنور فض الصبح هذا
وليس هناك أي تناسب بين النجم ونور الصبح فإذا «هذا» هو الأفضل .



(١) بقي

فرسان في حكم الأدارة

كان من المفروض أن يكون هذا الفصل ضمن الفصل السابق «فرسان في التاريخ» لكن التسلسل الزمني لهذه الفترة القريبة العهد جعلني أضعها بعد الكتابة عن التراث والعادات، وليعذرني القارئ إن كانت وجهة نظري هذه غير صائبة.

لقد جاء في الجزء الثاني من كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» لمؤلفه «خير الدين الزركلي» صفحة ٥٣٥ الطبعة الثانية ما يلي:

«اضطرب ملك الأدارة بعد وفاة محمد بن علي، وقد خلفه أحد أبنائه «علي بن محمد» وكان ضعيفاً، فعاجله الإمام يحيى فانتزع منه الحديدة وتوغل في الساحل شمالاً حتى وصل إلى «ميدي» وأراد «الحسن» أن يقلد أخاه محمداً - كما يقول فؤاد حمزه في قلب جزيرة العرب - ففاوض الايطاليين «جيرانه في الشاطئ الغربي من البحر الأحمر» في «مصووع». وفاوض البريطانيون في «عدن» ومنح إحدى شركاتهم امتيازاً باستخراج النفط من جزائر فرسان بشروط مجحفة بالبلاد والأهالي» انتهى.

ويأتي الأستاذ العقيلي في الجزء الثاني من المخلاف السليماني صفحة ٢٩٠ تحت عنوان «جزيرة زفاف» ليقول:

في عام ١٣٤٥ هـ عاد «مصطفى الإدريسي» من مصر إلى صبيا لزيارة الإمام الجديد - وهذه العودة الأولى بعد مغادرته البلاد عقب ثورته على الإمام علي - وكان يحمل معه صورة عقد اتفاقية باستغلال بنزين بجزيرة زفاف مقابل شروط وهمية لا تحقق ربحاً من مكاسب الأرباح» انتهى.

ثم يأتي «محمد جلال كشك» في كتابه «السعوديون والحل الإسلامي» ليعطينا صورة أكثر وضوحاً حيث يقول: «وبانتهاء الحرب رأى الإدريسي نفسه بين الملك حسين نجم الاستراتيجية العربية وبطل الثورة إذ ذاك والذي استأثر بمجد العرب ضد الأتراك وبين إمام اليمن الذي تخلص من الخطر التركي وبدأ يتطلع لالتهام الإدريسي. في نفس الوقت كانت إيطاليا مع شديد رغبتها في اقتطاع «عسير» تفضل كسب إمام اليمن. فلم يجد الإدريسي حوله إلا ابن سعود الذي وضع أولاده تحت وصايته سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م. ولكن بعد عام عندما جرى تطويق ابن سعود بالأشراف وأنذره الإنجليز وبدأ أن موقف الملك حسين هو الأقوى وتمرد آل عائض في أبها ضد الوجود السعودي الذي دخل الإقليم بناء على طلب الأهالي تشجع الإدريسي فطلب من ابن سعود تسليمه إمارة «آل عائض» باعتبارها جزءاً من إمارة عسير الكبرى. . لكن ابن سعود رد عليه الرد اللائق قائلاً: «حنا ما ناخذ الصاحب على أول زله».

فاستقام إلى أن مات سنة (١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) وخلفه ابنه علي فانتهم إمام صنعاء اضطراب الوضع في الإمارة وانشغال العملاقين ابن سعود والملك حسين بصراعهما فاستولى على الحديدة وميدي. ثم خلع علي الإدريسي وتولى الإمارة عمه الحسن الذي جرب أكثر من لعبة كان من بينها إعطاؤه الإنجليز امتيازاً للنفط في جزيرة فرسان. وقد تحول هذا الامتياز إلى معاهدة سنة ١٩١٧م بين بريطانيا والإدريسي حيث تعهد فيها الأخير ألا يرهن أو يبيع أو يتنازل عن جزر فرسان أو أي موقع على سواحلها لطرف أجنبي، وحقه في أن يطلب المساعدة من بريطانيا إذا تعرضت هذه المناطق للخطر وتعهدت الحكومة البريطانية بحماية جزر فرسان وساحل الإدريسي بشكل خاص. وعندما دعت الضرورة إلى تنفيذ هذه المعاهدة وطلب الإدريسي من بريطانيا حمايته من الإمام نكثت بريطانيا بوعدها وردت وزارة الخارجية البريطانية قائلة: «إن ارتباطنا ملزم في حالة وقوع عدوان أوروبي فقط»^(١) ومن الوثائق التي أشار إليها كتاب «السعوديون والحل الإسلامي» أنه: في ١١ أغسطس ١٩٢٧م أبلغ القنصل البريطاني في جدة حكومته الآتي: «استدعاني وزير الخارجية السعودي وسلمني رسالة من ابن سعود يبلغ فيها حكومة صاحب الجلالة

(١) السعوديون والحل الإسلامي

بتزايد النفوذ الإيطالي لدى الإمام وأن إيطاليا تشحن كميات كبيرة من السلاح والذخيرة إليه . وأن رسالته قد عرضها هذا على الإيطاليين الذين يسعون لمنع التفاهم السلمي بين الحجاز واليمن . وقد سأل الملك إذا كانت حكومة صاحب الجلالة لها علم بهذا النشاط الإيطالي . وإذا كانت تعلم فما هو موقفها؟ . .

وفي نفس الأسبوع تلقى القنصل البريطاني في (١٦ - ٨ - ١٩٢٧م) (١٨ صفر ١٣٤٦هـ) رسالة من جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز حول امتياز جزيرة فرسان جاء فيها:

«لي الشرف أن أبلغ سعادتك أن ممثلنا لدى حكومة الإدريسي تسلم رسالة من السيد حسن الإدريسي حول موضوع امتياز شركة النفط في جزيرة فرسان . وقد طُلب منه رفع موضوع الامتياز إلينا لنرى ما هي الخطوات التي يجب اتخاذها لتجنب أي معارضة .

وانطلاقاً من حرصنا الشديد على حقوق الشركة وحقوق بلاد الإدريسي فقد درسنا الموضوع برمته دراسة دقيقة فخلصنا للنتائج التالية التي نرغب في وضعها أمام بريطانيا العظمى كتعبير عن رغبتنا في التعاون لحل هذا الخلاف بروح الود والصداقة القائمة بيننا .

«إن ممثلي الشركة عند توقيع الاتفاق وعدوا السيد حسن بإنجازات مبدئية تبين الآن عجز ممثلي الشركة عن تنفيذها . الأمر الذي يعتبره الأهالي ضاراً بهم وبلادهم . ولمعرفتهم بالأهداف الشريرة لمصطفى الإدريسي ضدهم وضد الشركة فقد طالبوا الشركة عبثاً بتنفيذ التزاماتها مما خلق شعوراً سيئاً ضد الشركة .

وهناك قوى أخرى تشجع الأهالي على إثارة الاضطرابات فلما أصبح الوضع خطيراً طلب السيد حسن الإدريسي تدخلنا نظراً لعلاقات الصداقة التي تربطنا ببريطانيا العظمى» .

وقد رأينا أن الحل الأمثل هو الدخول في مفاوضات معكم ثم نرسل مندوباً عنا إلى

جيزان لنجد بالاتفاق مع ممثل الحكومة البريطانية وممثل شركة النفط والسيد حسن حلاً مقبولاً من كل الأطراف . وكما تعلمون نحن نفضل أن يكون الامتياز للشركات البريطانية عن أي جانب آخر إذا ما تساوت الشروط . ولا شك لدينا أنه بهذه الوسيلة التي نقترحها سنكون قادرين على محو الشكوك من نفس الإدريسي نحو الشركة والوصول إلى شروط مقبولة للجميع . رجاء رفع ذلك لحكومتك» . .

توقيع : عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

إن جزيرة زفاف مهجورة اليوم تماماً ولا يوجد بها سوى أسراب الغزلان التي ترتع بالقرب من الشواطئ آمنة مطمئنة لعلها باقية ولعل عوامل الجفاف في السنوات الأخيرة لم تكن قد قضت عليها .

ملاحظات على دراسة عن جزائر فرسان للدكتور: عبدالرحمن صادق الشريف

شيء جميل أن يحظى هذا الجزء النائي - من بلادنا العزيزة - بدراسات المهتمين من أصحاب الدرجات العلمية العالية كالـدكتور عبدالرحمن صادق الشريف الأستاذ المشارك بقسم الجغرافيا «كلية الآداب» بجامعة الرياض أو جامعة الملك سعود كما أطلق عليها مؤخراً تحت عنوان «دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية «جزائر فرسان» وما نريده من هذه الدراسات ومن أصحابها أن تكون على درجة كبيرة من البحث والتقصي وصدق المعلومات لأن أي باحث أو دارس يحمل على عاتقه مسؤولية شرف الأمانة العلمية شاء أم لم يشأ. إن كثافة هذه المسؤولية تكون أكبر عندما يحملها إنسان كالـدكتور الشريف وينشرها في وسط علمي خصب كالوسط الجامعي ليأخذها عنه أبناؤنا الجامعيون الذين هم عماد هذه الأمة وطاقاتها المنتظرة التي سنبنى عليها مستقبلها.

لقد بلغ عدد صفحات هذه الدراسة مع قائمة مراجعها نحو ٢٢ صفحة بدأ خطأ معلوماتها من الصفحة الأولى حيث جاء فيها ما نصه: «تتكون فرسان من مجموعة من الجزر تقع أمام شاطئ منطقة جازان. والقليل منها مأهول. بلغ مجموع سكانها ٣٣٥٢ نسمة في سنة ١٩٧٤ م. يعيش ٤٠٪ منهم في مدينة فرسان الواقعة في وادٍ يخترق أكبر جزرها». ثم جاء خطأ هذه المعلومات بصورة أوضح في الصفحة السابعة حيث جاء في السطر الثالث وما بعده: تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجزيرة، والذي تنتشر به الحقول الزراعية. ولذلك فالبلدة تبعد كيلومترات عن شاطئ البحر.

وأنا هنا أود أن أسأل الدكتور من أين جاء بهذه المعلومات؟ كيف استطاع بجرة قلم - كما يقولون - أن ينقل فرسان من موقعها المعروف إلى وادي مطر الذي يبعد عنها حوالي تسعة أو عشرة كيلومترات والذي يخلو من الوجود السكاني تماماً. كما أنه ليس بالوادي المتعارف عليه جغرافياً أي أنه ليس مجرى تعبره السيول بل هو العكس من ذلك لأنه مساحة من الأرض

الخصبة تتجمع فيها مياه الأمطار وتنبت به أشجار «السلم» الكثيفة وقد أطلق عليه اسم الوادي من كونه منطقة ترعى فيها الأغنام وتتكاثر فيها قطعان الغزلان، وتعود أهمية هذا الوادي الآن إلى وجود بعض الآثار القديمة والكتابات الموجودة على بعض حجارتها من أيام دولة حمير كما يقول خبراء الآثار.

ثم يستطرد الدكتور في دراسته عن هذه الجزر وسكانها إذ جاء في الصفحة الأولى نفسها في الفقرة الثانية من مقدمته: «لذلك تخلفت هذه الجزر فلم ينظم طريق بحري يربطها بجازان ولم تنشأ بها طرق معبدة، وارتفعت نسبة الأمية بين السكان إلى ٨٦٪ وانخفضت نسبة الحضور المدرسي ٢٦٪ ثم يواصل الدكتور حديثه عن هذا الموضوع صفحة «١٥» فيقول: أما عن التعليم في فرسان فإن نسبة الأمية تصل إلى ٨٦٪ وبلغت نسبة الحضور المدرسي ٢٦٪ فقط لمن هم في سن (٦ - ٩) سنوات سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م. والدكتور يعتمد في هذه المعلومات على «مصلحة الإحصاءات العامة» التعداد العام لسكان المملكة لعام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م «البيانات التفصيلية. منطقة جازان»

أنا أشك في صحة هذه المعلومات سواء كانت ناتجة عن مجهودات الدكتور الشريف أو في صياغة الإحصاءات العامة التي اعتمد عليها في بحثه. لأن فرسان مشهورة بتدني نسبة الأمية فيها سواء بين الرجال أو بين النساء. لماذا؟ طبعاً لأن أسفارهم إلى البلاد المجاورة وتجارتهم بالؤلؤ ومستخرجات البحر الأخرى ألزمتهم بأن يتعلموا ولو تعليمياً يفك أميتهم على أقل تقدير. فكيف إذا عرفنا أن كثيراً من أبناء الجيل السابق - أقصد جيل ما قبل المدارس - كانوا يقرأون ويكتبون بشكل جيد ودليلي على ذلك ممارستهم للأعمال الحكومية الكتابية وتسلمهم إدارة كثير من الدوائر التي أستطيع أن أقول أنها مكتملة في فرسان ومنذ بداية العهد السعودي من إمارة وشرطة ومحكمة وهيئة أمر بالمعروف ومالية وجمرك ولاسلكي وجوازات وأحوال مدنية كما يطلق عليها الآن ومرفأ وسلاح للحدود وغير ذلك. كما أن كثيراً منهم شغلوا وظائف ومراكز لا بأس بها في كل من جيزان وجدة وغيرها من مدن المملكة وكل هؤلاء كانوا من الجيل السابق الذين تلقوا تعليمهم في الكتاب أو المساجد التي كانت تقوم بدورها في التعليم. ثم إن مدرسة فرسان الابتدائية من أوائل المدارس في المملكة حيث يعود افتتاحها إلى عام ١٣٦٨هـ عندما كان المرحوم محمد بن عبدالعزيز بن مانع مديراً للمعارف.

أما بالنسبة للحضور المدرسي ٢٦٪ لمن هم في سن (٦ - ٩ سنوات) التي حددها الدكتور فالسؤال هنا: ٢٦٪ من ماذا؟ هل هي من المسجلين الفعليين في المدرسة أم هي من العدد الإجمالي للسكان بما في ذلك القرى التي لم يغزوها التعليم المدرسي في ذلك الوقت؟ هل هي من الرجال؟ أم هي من النساء؟ هذه النسبة الضئيلة لا أساس لها في الواقع، وسجلات المدارس تثبت خطأها.

وبدون أي تحيز أقول: إن نسبة الحضور المدرسي في مدارس جزائر فرسان من أعلى النسب في معظم مدارس المملكة. وبكل ثقة أقول أيضاً: إن التعليم في فرسان بين أبناء هذا الجيل يبلغ ١٠٠٪ إذ لا يوجد أي طفل يبلغ السادسة من عمره إلا وهو مسجل في المدارس. وليس أمام الطلاب في فرسان من مغريات الحياة ما يجعلهم يتغيبون عن مدارسهم. أضف إلى ذلك ما تبذله الدولة من مساعدات ومكافآت مالية لهؤلاء الطلاب حيث يحصل كل طالب في الابتدائية على مكافأة شهرية مقدارها مائة وخمسون ريالاً وثلاثمائة ريال للطلاب الذين هم فوق المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى بدل الاغتراب الذي يحصل عليه الطلاب الوافدون من القرى لمواصلة تعليمهم الإعدادي والثانوي. ونتيجة لتوفيق الله أولاً ثم لهذه العوامل مجتمعة فقد وصل بعض أبناء فرسان إلى أعلى مراحل التعليم وحصلوا على الدكتوراه أو في طريقهم إليها كالـدكتور ضيف الله هادي حسن الذي يعمل الآن بكلية الزراعة في الرياض وعلي يحيى عريشي ومحمد يحيى صيادي اللذان سيعودان بعد أيام قلائل من الولايات المتحدة الأمريكية يحمل كل منهما درجة الدكتوراه في الحقل الذي يعمل فيه. أما طلاب فرسان في الجامعات فهم كثيرون وفي مختلف التخصصات العلمية والتربوية.

ولا أنكر أنني قد اكتسبت معلومات جديدة من دراسات الدكتور وخاصة فيما يتعلق «بطبيعة تكوين جزائر فرسان» إبان العصور الجيولوجية المختلفة، إلا أنني لن أتعرض لهذا الموضوع الآن بصفتي إنسان غير متخصص ولكنني أرجو مستقبلاً أن أوفق عن طريق الاجتهاد إلى عمل شيء أضيفه إلى هذه المعلومات المتواضعة عن هذه الجزر.

كما أنه من بين المعلومات التي اكتسبتها وأضيفها إلى بحثي هذا ما جاء في صفحة «٥» عندما تحدث عن القلعة. قال الدكتور الشريف:

«وقد هجرت هذه القلعة منذ رحيل الأتراك . وقد طمع الألمان في السيطرة عليها لتكون محطة لتموين السفن بالفحم ولكن بريطانيا وقفت في وجه أطماعهم وحالت دون ذلك . وقد بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها كمنفى للمحكومين» .

ما أريد إيضاحه هنا أن الألمان لم يحاولوا الاستيلاء على هذه القلعة ولا يوجد لهم أثر في فرسان . ربما أراد الدكتور «جزيرة قماح» الواقعة على خط الملاحة الدولي عبر البحر الأحمر والممتد من باب المندب في الجنوب إلى قناة السويس في الشمال . وقد أشرت في بحثي هذا إلى أن الألمان قاموا ببناء مستودع كبير على ساحل هذه الجزيرة يطلق عليه العامة من الناس «بيت الجرمل» مازال باقياً حتى هذا التاريخ . وهذا الوجود الألماني في هذه الجزيرة لم يكن من منطلق سيطرتهم عليها ولكنه من منطلق أنها كانت واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية صديقتهم أو هي حليفتهم في ذلك الوقت . ثم لا أعرف ماذا يقصد الدكتور بقوله : «وقد بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها كمنفى للمحكومين» . أنا أتساءل ما معنى هذه العبارة؟ ما معنى بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها؟ ما معنى كلمة «توحيدها»؟ هل كانت هذه الجزر كل واحدة منها تابعة لدولة؟ لماذا لم يوضح ذلك ويبين أسماء الدول التي كانت تسيطر على كل جزيرة أو على كل مجموعة منها؟ هناك من يعيش منذ زمن الأتراك حتى الآن من المعمرين لم يعرفوا أن أي دولة سيطرت على جزرهم أو جزأتها . كل ما في الأمر أن هذه الجزر مجتمعة خضعت لحكم الأدارسة - التي كانت عاصمة دولتهم مدينة صبياء - بعد خروج الأتراك منها بعد الثورة العربية ضدهم وجلائهم عن العالم العربي . ثم بعد ذلك انضمت هذه الجزر تحت راية الحكم السعودي كجزء لا يتجزأ عن منطقة جازان . ثم ما معنى بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها؟ ما المقصود بكلمة «بقي» هل أراد بها الاستقرار؟ هذا غير وارد تماماً . بل وهذا ما ينافي ما أورده الدكتور نفسه في حديثه عن سكان جزائر فرسان إذ أورد ما ذكره «ابن الخايك» الهمداني «أن فرسان قبيلة من تغلب كانوا نصارى ولهم كنائس في جزر فرسان وقد خربت ، ويوجد بها جبل يسمى «جبل كنيسة» يقال : إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب . ويقول نساب حمير إنهم من حمير وقد عملوا بالتجارة فكانوا يحملون المتاجر إلى بلاد الحبشة ولهم في السنة السفرة فينضم إليهم كثير من الناس . وقال الكلبي : «إن منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب» .

إذن الدكتور يناقض نفسه بنفسه إذا كان يقصد بكلمة «بقي» الاستقرار فهذا التاريخ يشهد بأنهم قدماء قدم تاريخ الإنسان العربي على هذه الأرض وآثارهم تدل عليهم . ثم ما زلت حول هذه العبارة . ماذا يقصد بقوله : بعد توحيدها كمنفى للمحكومين . ماذا يقصد بالتوحيد هنا؟ هل أزيح البحر والفواصل الطبيعية التي تفصل هذه الجزر عن بعضها لتصبح جزر فرسان كلها منفى؟

المنفى لم يكن إلا في جزيرة فرسان فقط حيث توجد سلطات الدولة مكتملة وهذه ظاهرة بحمد الله ثم نشكر الدولة على إنائها . ولم تعد فرسان تلك الجزيرة التي تستقبل المنفيين بل تبدل الحال حيث أصبحت تستقبل كبار المسؤولين من أمراء ووزراء وطلاب جامعات وزوار أجانب . وأجد نفسي مجبراً لأتابع بعض الملاحظات حول ما جاء من خطأ في التعبير في مؤخرة الصفحة السابعة من الدراسة وهو الآتي :

بقيت حياة سكان جزائر فرسان متخلقة وأحوالهم سيئة ومستوى معيشتهم منخفضاً في الوقت الذي تعرضت فيه مختلف مناطق المملكة للتطور والازدهار .
الوقوف هنا عند جملة «في الوقت الذي تعرضت فيه مختلف مناطق المملكة للتطور» موسيقى هذه الجملة شاذة ومزعجة للسمع فقد ألفت الأذن أن تسمع قولهم : «لا تعرض نفسك للأخطار» أو «لا تعرض جسمك للبرد» أو «تعرضت المدينة الفلانية لمرض كذا» أو «المناطق المنكوبة - لا سمح الله - تعرضت للسلب والنهب» وما إلى ذلك من عوامل الشر والعياذ بالله . أما أن يقول تعرضت للتطور والازدهار فهذه عبارات يرفضها السمع وتأبأها موسيقى الكلمة . ولو قال : في الوقت الذي شمل فيه التطور والازدهار مناطق المملكة لكان أفضل . ومن المتناقضات التي وقع فيها الدكتور قوله : «تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجزيرة والذي تنتشر به الحقول الزراعية . ولذلك فالبلدة تبعد كيلومترات عن شاطئ البحر . وهذا يوضح أن إمكانية الإنتاج الزراعي هي العامل الرئيسي في استقرار السكان» . ثم يأتي في نهاية الصفحة السابعة نفسها وفي رأس الصفحة الثامنة ليقول : «وقد اشتركت عدة عوامل طبيعية بشرية في الحفاظ على هذه الأوضاع البائسة مدة أطول يجدر بنا أن نتوقف عندها قليلاً لإلقاء مزيد من الضوء على واقعها حتى يتضح السبيل لإمكانية تطورها في المستقبل ويبدو أن أهم هذه العوامل ما يأتي :

- ١ - طبيعة تكوين هذه الجزر
- ٢ - انعزالها
- ٣ - جذب أراضيها
- ٤ - أسباب بشرية واجتماعية

والتناقض يكمن هنا في الفقرة الثالثة وهو قوله «جذب أراضيها». أنا لا أريد أن أقول: إن أرض فرسان زراعية وخصبة لأن ذلك يعني المهتمين والمختصين بالزراعة والترتبة. لكن أقول: كيف يقول: «تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجزيرة والذي تنتشر به الحقول الزراعية؟ ومع أن موضوع الموقع قد أوضحت خطأه في بداية ملاحظاتي إلا أنني أسأل: كيف يكون جذب في أراضيها؟ وكيف يكون انتشار للحقول الزراعية؟ كيف يقول الدكتور في الصفحة الأولى؟ وبقيت مجالات الإنتاج متخلقة مما اضطر شبابها للهجرة. ويقول أيضاً في نفس الصفحة: لا يمكن وقف هذا النزيف البشري من الهجرة؛ ليعود فيقول: إن إمكانية الإنتاج الزراعي هي العامل الرئيسي في استقرار السكان.

ملاحظات أترك للقارئ الحكم عليها، وأرجو كل الرجاء من باحثينا ودارسينا سواء في الجامعات أو في غيرها ممن يعنون بهذه الأمور أن يتخذوا الأمانة العلمية والتقصي العميق شعاراً لهم وفي نفس الوقت أضم صوتي إلى صوت الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف في مقترحاته التي جاءت في مؤخره دراسته لتنمية هذه الجزر والتي اختصرها كرؤوس أقلام فيما يلي:

- ١ - إنشاء طرق معبدة بين فرسان وقراها.
- ٢ - إيجاد قوارب مختلفة وتنظيم حركة الركاب والبضائع. وهذه الفقرة حل جزء كبير منها بواسطة المعديّة «فرسان» التي تكرم باهدائها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية بعد زيارته لفرسان.
- ٣ - فتح وحدة زراعية في الجزيرة.
- ٤ - تطوير الميناء « وهذا تنفذه الآن المؤسسة العامة للموانئ » بواسطة شركة «كوستين» الإنجليزية.
- ٥ - إنشاء وحدة لتحلية المياه « وهذا قد تم تنفيذه منذ عام ١٣٩٩هـ ».
- ٦ - فتح مدارس للذكور والإناث. وهذا قد تم وعم تعليم البنين والبنات كل جزيرة وكل قرية.
- ٧ - بناء مستشفى. وهذا يتم بناؤه الآن من قبل وزارة الصحة بواسطة شركة «فيال» الإيطالية وسيتسع لخمسين سريراً.
- ٨ - تطوير عمليات صيد الأسماك.

- ٩ - تشجيع الاتجاه نحو التصنيع كالجص والجبس والنوره وتنظيف الأصداف .
١٠ - تشجيع فنادق من مختلف الدرجات والأحجام .
١١ - دراسة إمكانية زرع اللؤلؤ ضمن أحواض خاصة في مياه الجزيرة كما هو حاصل في كثير من بلاد العالم كاليابان .

هذه بعض ملاحظات حول دراسة الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف عن «جزائر فرسان» وبقي شيء آخر أود مناقشته مع الدكتور ومع شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي البحار العربي المشهور الذي نسب إليه الدكتور الشريف أنه قال : إن فرسان كانت تدعى «هندسان» في الصفحة رقم «٢» وفي التعليقات صفحة «١٩» وفي رقم «٣» جاء ما يلي :
شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي إذ قال : «بحري فرسان جزيرتان تسميان كدي وهندسان وساموة بحري الجزيرتين عنهما في المغارب والجنوب ويقول في موضع آخر : «فهندسان شامها وحواليها جزر وفيها البقر والجمال والنخيل والفواكه . . . كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد تحقيق» . انتهى
وهنا سأورد ملاحظتين . أولهما :

الذي يظهر أن الدكتور لم يفهم لغة ابن ماجد . فابن ماجد عندما قال بحري فرسان جزيرتان تسمى كدي وهندسان إنما أراد أن يقول : غربي فرسان تقع جزيرتان وكلمة «بحري» مازالت مستعملة حتى الآن بمعنى «غربي» ومن الأشياء المألوفة في فرسان أو جازان أن تسمع قولهم : «اليوم الهواء بحري» بمعنى أن الرياح غربية لأنها تهب من جهة البحر ثم أن جزيرة كدي موجودة وهي تسمى الآن «أم الكدف» أو «أم الكدي» ثم أن جزيرة «هندسان» أيضاً معروفة وتدعى في الوقت الحاضر «الدسان» ولعل تحريفاً وقع في اللفظ منذ زمن ابن ماجد حتى الآن أولعل ابن ماجد أو كاتبه سمعها خطأ فدونهاها بهذا اللفظ . أما جزيرة «ساموة» التي قال عنها ابن ماجد : إنها بحري الجزيرتين عنهما في المغارب والجنوب . فقد فسرت العبارة نفسها بنفسها «فبحري الجزيرتين» معناها تقع عنهما من ناحية البحر أي من ناحية الغرب . إلا أن هذه الجزيرة لم يكن اسمها «ساموة» واسمها الصحيح «سأسوة» بضم السين الثانية وسكون الهاء . وهذا لا أشك في أنه خطأ مطبعي أو خطأ في النقل عن ابن ماجد . ثم لا أعرف كيف مرت على الدكتور هذه العبارة دون أن يتلافى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه لأن العبارة واضحة ولا تحتاج إلى تفسير . تقول هذه العبارة : «فهندسان

شامها «أي إلى الشمال منها» وحواليها جزر وفيها البقر والجمال والنخيل والفواكه». هذه الجزر إذن جزر فرسان الكبرى وفرسان الصغرى «السَّقيد». هذا واضح لا يستدعي الوقوع ويجعل الدكتور يقول «وكانت تدعى هندسان حسبما ذكر ابن ماجد» وبذلك جعل القارىء يقع في خطأين هما:

١ - نسب إلى ابن ماجد ما لم يقله .

٢ - منح فرسان اسماً لا تعرف به وإنما الذي تعرف به إحدى الجزر التابعة لها .

أما الملاحظة التالية فهي :

إن الهمذاني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» توفي سنة ٩٤٥م وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان الذي ولد عام ١١٧٩هـ وتوفي عام ١٢٢٩م لم يقل أحد منهما أن فرسان كانت تدعى هندسان وهما أقدم من البحار العربي أحمد بن ماجد الذي رافق «فاسكو دى جاما» في رحلاته البحرية وكان بمثابة مرشد له وفاسكو دى جاما من مواليد ١٤٦٩م وتوفي ١٥٢٤م كما أن ابن ماجد نفسه توفي بعد ١٤٩٨م . ومن هذا يتضح خطأ معلومات الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف عن جزائر فرسان . ومع أنني أشكر للدكتور دراساته عن هذه الجزر فإنني أرجو أن تكون مجالاً للبحث ليتسنى لنا معرفة جزء يكاد يكون مجهولاً من وطننا الحبيب .

فرسان حاضرها ومستقبلها

لقد ازدهرت فرسان وما يتبعها من القرى والجزر المسكونة إبان عهدها بتجارة اللؤلؤ ومستخرجات البحر وتجلى ذلك الازدهار في أسلوب حياة بعض أهلها وفي طراز منازلهم التي تأثر مصمموها بما شاهدوه في بلدان الشرق كالهند وبلدان الغرب كإيطاليا ومزجت فيها النقوش الشرقية بالتصاميم الرومانية من حيث الأعمدة والعقود والرتوش الأخرى . لكنه ما أن بدأت تجارة اللؤلؤ بالكساد وبدأت مصادر الرزق تتنوع وتقل مشقة عن الاعتماد على منتجات البحر حتى بدأ أهل هذه الجزر يهجرون الغوص ومتاعبه ويتجهون إلى المصادر الأخرى .

وحالتهم هذه - في ظني - أشبه ما تكون بحالة سكان سواحل الخليج العربي ، فالظروف تكاد تكون متشابهة حيث هجر أبناء الجيل الجديد البحر بل أصبحوا لم يعرفوه لدرجة أن معظمهم لا يجيدون السباحة . وليت أبناء الجيل الجديد وحدهم هجروه بل ومن أسميهم تجاوزاً «أبناء الجيل الأوسط» وهم الذين قضوا جزءاً من حياتهم في البحر، فهو لاء من منطلق حياتهم الأولى أرادوا أن يريحوا أنفسهم بقية أعمارهم ويجنبوا أبناءهم ما كابدوه في أيامهم السابقة، وهذا شيء لا بد من حدوثه . وقد ترتب على ذلك هجرة الفرسانيين من جزيرتهم سعياً وراء سهولة العيش وتيسر الرزق .

والسؤال الآن : هل يعود الفرساني إلى جزيرته بعد أن نعم برفاهية العيش وبدل أسلوب حياته خلال سنوات غيابه، وبعد أن أنجب أبناءه الذين لا يعرفون عن جزيرتهم شيئاً إلا من خلال أحاديث الذكريات التي يسمعونها من آبائهم أو بعض أفراد أسرهم من المسنين .

هذا السؤال ستجيب عليه الأيام المقبلة خاصة وأن فرسان تقبل الآن على مرحلة جديدة من مراحل تبدل الحياة فيها خاصة بعد الزيارات المتعددة التي قام بها إليها بعض كبار

المسؤولين كصاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية وعدد من الوزراء كوزير المالية ووزير التخطيط ووزير المعارف ووزير الزراعة والمياه ووزير الصحة وغيرهم والتي أسفرت عن إيجاد بعض المشاريع الضرورية في هذه الجزيرة كمحطة تحلية المياه التي كلفت الدولة واحداً وأربعين مليوناً من الريالات والتي تنتج ١٣٢٠٠٠ جالون ماء يومياً، وشبكة الكهرباء التي غطت فرسان وبعض قراها القريبة والتي تتوسع الآن لتصبح مشروعاً مركزياً يغطي جميع القرى والجزر المأهولة بالسكان. كما يجري الآن بناء ميناء حديث على مساحة من الأرض مقدارها ألف كيلومتر مربع تقوم بتنفيذه شركة «كوستين» الإنجليزية، وبناء مستشفى يضم خمسين سريراً تقوم بتنفيذه شركة «فيال» الإيطالية بالإضافة إلى بعض المنشآت الحكومية كمدارس البنات ومقر الإمارة وبناء قيادة قطاع سلاح الحدود.

ومن المشاريع التي تنتظرها فرسان سفلة تسعين كيلومتراً من الطرق تربط جميع القرى بعضها ببعض وبناء كوبرى «جسر» طوله ٥٦٠ متراً يربط فرسان بالسجيد وإيصال فرسان هاتفياً بمدن المملكة والخارج بواسطة محطة للميكرويف. كذلك تجرى دراسات لبناء محطة للوقود تزود المواطنين بهذه المادة وتجنبهم غلاء أسعارها بسبب تكاليف استيرادها من جيزان.

ومن الأشياء الجديرة بالإشارة أن كلاً من وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات قد قامت بتغطية كاملة لجميع جزر وقرى فرسان وافتتحت بها مدارس للبنين والبنات، وفي فرسان نفسها يصل التعليم إلى نهاية المرحلة الثانوية بالنسبة للبنين وإلى نهاية مرحلة إعداد المعلمات بالنسبة للبنات.

كيف فتحت فرسان

عندما زار فرسان صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية كان من بين المطالب التي تقدم بها المواطنون لسموه فتح خط جوي بين جيزان وفرسان ولورحلة واحدة في الأسبوع ، ولكن سموه كان ذا نظر أبعد فقد وعدهم بوسيلة نقل مأمونة ومضمونة وأكثر نفعاً من الطائرة، ولم يطل بالمواطنين انتظارهم حتى وصلت المعديّة البحرية التي أطلق عليها اسم «فرسان» فيما بعد وفتحت فرسان على مصراعيها أمام الزوار والشركات والمؤسسات وشكلت جسراً تنقل بواسطته المعدات والسيارات الكبيرة والصغيرة كما استطاع المواطن أن ينتقل بسيارته من فرسان إلى جيزان سواء كانت فارغة أو محملة بالبضائع حتى أنها الآن - أي المعديّة - أصبحت لا تكفي الحركة الآخذة في التوسع وأصبح كثير من أصحاب السيارات لم يتمكنوا من السفر بعد أن تشحن هذه المعديّة بأكثر من ثلاثين سيارة يومياً ذهاباً وإياباً ويصل عدد الركاب في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثمائة راكب، وانطلاقاً من هذا الضغط المستمر فقد أمر سموه بالتعاقد مع إحدى الشركات لبناء معديتين أخريين تنتظرهما فرسان في وقت قريب إن شاء الله .

هذه لمحة بسيطة وموجزة عن هذه الجزر التي يجهلها الكثيرون استطعت بتوفيق الله ثم بمجهوددي الشخصي ومساعدة بعض الأخوة لي أن ألم شتاتها رغم قلة المصادر وشرح المعلومات، وبروح الإنسان الذي يجب لوطنه الخير ولأبناء بلاده المعرفة أوجه الدعوة لمن هم أرسخ مني قدماً وأطول مني باعاً في مجالات البحث أن لا ييخلوا بما لديهم، وكم سأكون سعيداً عندما أجد من يفي هذا الجزء من بلادنا العزيزة حقه بحثاً وتدقيقاً وتنقيباً عن معلومات ربما تكون حبيسة الأدراج أو على رفوف مكتبات العالم . ولا أقول حسبي هذا النزر اليسير الذي استطعت جمعه من هنا وهناك، ولكنني اعتبرها نقطة بداية ودعوة مخلصّة لرجال الفكر وحملّة الأقلام ورفاق الكلمة . والله من وراء القصد .

الفهرس

رقم الصفحة

| | |
|-------------------------------------|----|
| كلمة الرئيس العام لرعاية الشباب | |
| سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز | ١ |
| تقديم | ٤ |
| مقدمة | ٧ |
| فرسان ذات الشواطىء الغنية | ٩ |
| الموقع الجغرافي | ١٠ |
| فرسان ذات التاريخ | ١٥ |
| الآثار في فرسان | ١٩ |
| فرسان واللؤلؤ | ٢٩ |
| أبرز العلماء والشخصيات | ٣٤ |
| رحلة ورأي | ٣٥ |
| عمادات وأساطير | ٣٧ |
| الزراعة والغزلان | ٣٩ |
| موانىء فرسان | ٤١ |
| القرى التابعة لفرسان | ٤٣ |
| الجزر التابعة لفرسان | ٤٥ |
| الجزر المسكونة | ٤٧ |
| الطيور المهاجرة | ٤٩ |
| العادات في فرسان | ٥٣ |
| موسم سمك الحريد | ٥٩ |
| التراث والرقص | ٦٤ |
| المجالسي | ٦٩ |
| فرسان في حكم الأدارسة | ٧٦ |
| ملاحظات على دراسة عن جزائر فرسان | ٨٠ |
| فرسان حاضرها ومستقبلها | ٨٨ |
| كيف فتحت فرسان | ٩٠ |

متابعة واشراف : محمد القشعمى
التصميم الفني : سمير عبدالرحمن

(تعتذر مطابع جامعة الملك سعود عن عدم وضوح بعض الصور والسبب عدم وضوح الصور الاصلية)

المؤلف في سطور

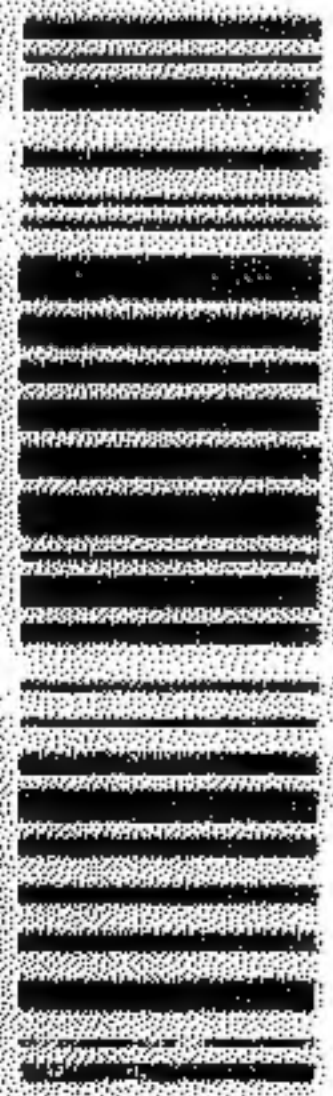


ابراهيم عبدالله مفتاح

من مواليد ١٣٥٩هـ بجزيرة فرسان، تلقى تعليمه بالكتاب ثم بمدرسة فرسان الابتدائية، وتخرج عام ١٣٧٧هـ.

تخرج من معهد المعلمين الابتدائي عام ١٣٨٠هـ - دراسات تكميلية بالطائف ٨٦/٨٧هـ عمل بالتدريس ٢٠ عاما. التحق بسكرتارية تحرير مجلة الفيصل لمدة عام، عاد إلى التدريس مرة ثانية، شارك في أمسيات النادي الأدبي بجيزان. صدر له ديوان شعر بعنوان «عتاب الى البحر» يعمل الآن وكيلا لمدرسة فرسان الابتدائية.

Bibliotheca Alexandrina



0227447